موسوعة المفكرين والادباء العراقيين

مسعود محمد

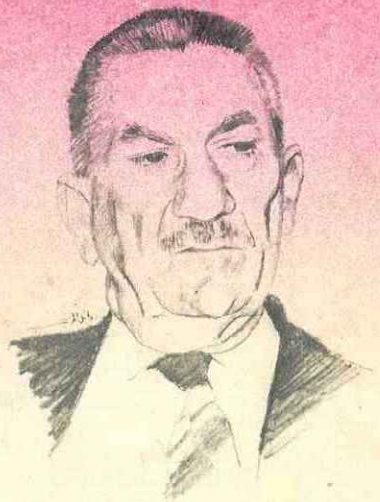

تأليف: حميد المطبعي

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم
السعر ٧٥٠ فلس
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

موسوعة المفكرين والادباء العراقيين

الجزء السابع

مسعود محمد

تأليف

حميد المطبعي

الطبعة الاولى ـ ١٩٨٨

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عربية،
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص.ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هذه الموسوعة..

منذ ربع قرن انصب تفكيري في تاليف هذه الموسوعة، وانقطعت الفكرة ثم بدات الآن، وهذه الموسوعة لها صفة هي غير صفة الموسوعات الصادرة في تراجم الاعلام، وصفة هذه الموسوعة، هي انها تلم بالاعلام إلماماً متكاملاً، في النفس وفي البنية، وفي هذه العناصر التي تركب الكاتب او المفكر تركيباً، يراعى فيه، التسلسل المنطقي لولادة الشخصية، والتطور التاريخي لافكارها، وكانت موسوعات هذا العصر، او العصور السالفة لاتغطي الا الشكل الخارجي للاعلام، كتبهم وشهادات ميلادهم او وفياتهم، بمعنى ان الكتابة عن الشخصيات الثقافية في تلك الموسوعات لاتخرج عن التراجم التقليدية، وكان الكتاب والمفكرين هم شخصيات نمطية، ولدت وعاشت كاي سياق بشري آخر، مع ان تاريخ التراث كان يحدثنا باسهاب عن اهمية ونبوغ واستثنائية قوافل الفكر في الحياة العربية، وهذا التفرد الذي يتميز به المفكر العربي عبر عصوره، جعلني ان افرد له في هذه الموسوعة المساحة المنطقية المتوازنة مع دوره في التاريخ، فاتحرى وقد تحريت عن مكونات الكاتب النفسية وصلاته بالآخرين، ودوافعه الغريزية للكتابة والابداع، ثم قمت بمجادلة

آرائه وافكاره، تبعاً لسياقه التاريخي، ووضعت هذا الجدل في خدمة هدف الموسوعة، وهو ان يكون القارئ في صميم المترجم له، فيصل اليه بلا جسور، ويتعرف الى رؤيته او فلسفته بحيوية حواسه، وحتى لايبقى بين القارئ وهذه الشخصية المترجم لها، اية عقدة من عقد الفكر الغامضة .

انا وجدت الموسوعات القديمة والموسوعات المعاصرة في تراجم الاعلام، لاتقدم الا اعلاناً عن الشخصية، لاتشرح فيه فكراً ولا تفلسف فلسفة، فهو مجرد اعلان عابر، او طيف صامت لايدور او ينفذ الا في المسام المظهرية للشخصية، فهو اذن اعلان مجحف بقيمة وعظمة المفكرين والكتاب الذين اسسوا لنا مجتمع القيم، وبنوا في محيطنا السلم المثالي لمجتمع عربي، مفكر، عاقل، مدرك، يدرك ويعقل مطالبه الحضارية، طبقاً لانجازات العقل التركيبي الذي تتصف به فلسفتنا في الحياة.

واخترت، ان تكون هذه الموسوعة، شاملة في مقاصدها، لان مفكرنا شامل في افكاره، وشامل في تصوراته واحلامه واشواقه، وانا لابد من ان اكون شاملاً مع الشخصية التي ابتغي ترجمتها ترجمة متكاملة، فاوجه لها نقداً ياخذ في سياقه العام، الطابع الاثنوغرافي، وهو الذي يتصل بحياة الشخصية الاجتماعية،

وادخلها في الدراسة الاثنولوجية، وهي الدراسة المقارنة الباحثة في علاقة الشخصية مع محيطها البيئي او الحضاري اوالسلوك الجمعي، وكما هو ثابت، فان القارئ العام بحاجة دائماً الى مدلول منطقي استدلالي لمعرفة ابعاد المفكر العربي، ومستوى علاقته بالحياة، وفي مختلف شؤونها العقلية او الانثروبولوجية ـ التاريخية.

وكنت في كل تراجمي لهؤلاء الاعلام، متعاطفاً معهم، الا في حالات، ارى فيها الكاتب يشذ عن مقياس احصائي، او يقف موقفاً متذبذباً ازاء قضية مامن القضايا التي تشغل ذهن الحقبة الزمنية التي نرتادها، فاحاول فيها، او اتوصل وهذه الشخصية التي ابحث فيها، الى قناعة مشتركة من الحسيات العامة، حتى نجعل هذا القارئ الذي يقرا هذه الموسوعة، متداخلاً، كاشفاً، لا متفرجاً في سديم، ومع هذا فقد ارضيت نزاهتي في اعلامنا، واديت الزكاة لتاريخهم، فنحن كلنا، مدينون لاعلام العراق، فيما ابدعوا من علم، وفيما انتجوا من عقل، وفيما ارادوا ان يكملوا الشوط الطويل الذي ابتدات به مدرسة بغداد في التاريخ، وفي بناء التاريخ الانساني.

لم اتبع في هذه الموسوعة، النهج الابجدي، او الانتقائي لاعلام العراق، وانما نهجت فيها نهج البحث في الشخصيات

البارزة في التاريخ المعاصر، كلما توفرت في هذه الشخصية او تلك، مصادري في دراستها والتبحر في مظانها، وكنت في هذا النهج، ابتعد عن النمطية التي اتسمت بها الموسوعات القديمة والتراجم المعاصرة التي خلطت في المفكرين خلطاً، وباعدت وقربت فيما بينهم تحت ثقل السياقة الابجدية، التقليدية، الصارمة..

وارى انني اول من ابتكر هذا المنهج في تاريخ العمل الموسوعي العربي، واول من ابتدع النواة العلمية ـ الموضوعية لمؤرخ المستقبل الذي سيجد إن طال بي الصبر في تراجم اعلامنا، سفراً خالداً، زاخراً بصور التاريخ والمواقف والاحداث، يمكنه من ان يدرس فيه، حياة مجتمع او حقبة تاريخ من هذا المجتمع، او حالته العقلية التي تبلورت عبر جهد ابداعي تركيبي ـ تاريخي.

وآمل ان لايكفرني مؤرخ المستقبل في شئ فعلته في هذه الموسوعة، فقد جهدت ما استطعت الى ذلك سبيلاً، ثم تنزه بي الهدف !

حميد المطبعي

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٨ م

القائد يتابع كتاباته..

بعد عرض لقائه التلفزيوني في آب ١٩٨٤ تلقى مسعود محمد اتصالاً هاتفيا من السيد وزير الثقافة والاعلام يبلغه فيه رضا السيد الرئيس كلية عن هذا اللقاء وتحياته. وان سيادته لاحظ من كلام مسعود مايعانيه من جهة طبع ونشر كتبه فأمر واوعز بطبع هذه الكتب على الوجه الذي يراه مسعود محمد.. فطبع عدد منها!

وفي يوم ١٨/١٢/١٩٨٥ اتصل به رئيس ديوان الرئاسة وابلغه تحية الرئيس واعجابه بحلقات مقاله (وجهة نظر في التفسير البشري للتاريخ) التي نشرت اخر حلقاته في جريدة العراق ذلك اليوم بالذات فيكون سيادته قد انتظر نهاية المقال ليبدي ماعنده وقال السيد رئيس الديوان: ان سيادة رئيس الجمهورية يهنئه على المقال وان كان لايشترط بالضرورة ان تتوافق الاراء في كل شيٍ وابدى عن لسان سيادته ماذا كان هناك مايمكن تلبيته من مستلزمات هذه الحياة فاكتفى بالشكر، وابدى ان رضا السيد الرئيس يغني عن اي شيٍ آخر.

وبعد نشر الحلقة الثانية والاخيرة من مقالته (رشفة من سراب السنين) بيوم واحد اتصل به سكرتير السيد الرئيس وابلغه تحية السيد الرئيس ورضاه واعجابه بالمقالة مضيفا ان سيادته يقول: ان الآراء متطابقة مئة بالمئة وكرر الاستفسار عما يمكن ان يلبي من مطالب الحياة فارتفع لسان مسعود بالشكر..

انا ربحت راحة الضمير بيني وبين نفسي وربحت احترام القارئ اعدى اعدائي لايستطيع الطعن في كتـابتي بالالتـواء الا اذا كان مأجورا او مدسوسا وخسرت من مال الدنيا وسلطانها ماهو جدير بان يكون ثمن النظافة والصراحة وقـولة الحق. وخسرت صـداقة المدارس الفكرية التي لاتلتئم مع فكري.

(من رسائل مسعود محمد
الى المطبعي سنة ١٩٨٥)

بدايات مستقبلية تنمو بلا التواء

مسعود محمد شيخ كردي جليل، يكتب بالكردية بجلال اللغة الكردية، ويكتب بالعربية بجلال اللغة العربية، فهو ظاهرة لسانية، وظاهرة لغوية، وبين هذه الظاهرة وتلك يبرز انتماؤه الوجداني (الحقيقي الصميمي الحاد الاصيل) الى ارض العراق.. ولاابالغ فهو يجد الارض هي اللغة التي تنمو في احشائه، وتتحول في كل حال، او في كل الاحوال الى زمان ومكان وعقيدة !

من من جيلنا لايتذكر مسعودا، عندما كان يكتب بأسم مستعار في جريدة الحرية في سنة ١٩٦٠ في سلسلة من مقالات بعنوان (من اجل توطيد الاخاء العربي الكردي) وهو يناقش المرحوم الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في مقاله المتسلسل عن نصرة تاريخ الاكراد، ونحن هذا الجيل او الجيل الذي سبقنا نتذكر جيدا كيف ان مسعودا او (هوشيار وهو اسمه المستعار الذي يعني صاحب عقل بالكردية)، كان يعطي اجوبة دقيقة في ان التراحم بين العرب والاكراد شئ متوارث من احقاب التاريخ، وكاد في تلك المقالات ينفجر بندائه المعروف: (مهدوا السبيل لتراحم اكبر وتآزر اقوى بين العرب والاكراد)، لما رأى قوما ينهشون بتاريخ الكرد، كلنا يتذكر هذا الجليل في وعيه الديمقراطي، والجليل في انه لم يغب عن وعيه الديمقراطي، ولم يغب عن احساسه الكبير بالارض..

* * *

راجح في صفاته الشخصية، يقرأ من الصباح الى المساء، ويكتب من الصباح الى المساء، حيث تتماثل الاشياء في وحدة متناهية في عقله، الانسان والارض وحدة متكاملة، العلم والابتكار وحدة متكاملة، كل شئ يحيطه يتحول الى وعي في (انسانيته) حتى صار (الانسان) مذهبا في حياته، عليه تدور الآراء والافكار، المبادئ والاحزاب، فان خرجت هذه عن اطار الانسان غدت وهما في وهم وتاريخاً في وهم !

ولست مبالغا، فهو من فئة الكتاب الذين اتخذوا (الكتابة) وسيلة لاغاية، يحققون بها انبل رسالة لانسان جائع، او لانسان مهضومة حقوقه، او لانسان لايعرف حقوقه الجوهرية، هو إذاً ظاهرة في الحرية، لانه وظف انسانيته، وقواه الغريزية، للدفاع عن العقل، وانا كلما رأيت مسعودا غارقا في كتبه، او غارقا في (امل الآخرين) انتصرت الى حريته، فهي الحرية التي يتوازن فيها الانسان بالارض توازنا عذبا وشفافا الى ابعد الحدود !

وكان لابد ان نرحل الى هذه الحرية.. الى مسعود في بيته وافاقه، كيف يفكر في هذا البيت، كيف يصوغ قرار الحرية، وكيف يعاني النفس والروح، في عالمه المملوء بالاسرار ..

في بيته:

ويقتعد الان مما يسمى (الهول) مساحة من جانبه الايسر القريب من باب الدخول على كرسي مقطوع بعض من طول قوائمه ليناسب ارتفاعه ارتفاع المنضدة (الطاولة) الواطئة التي يكتب عليها، وبينه

وبين الجدار الايسر قنبة طويلة تحمل اشتاتا من الكتب والاوراق التي يحتاج اليها في الكتابة، والى يمينه منضدتان صغيرتان فوقهما كتب واوراق اخرى وفوق احداهما جهاز الهاتف في متناول يده، هنا وهناك في الجدار صورة مؤطرة هي بلاشك رموز الجغرافيا الطلية بالوان الطبيعة، وثمة صورة اخرى منقوشة بالتطريز البيتي وهي مستطيلة طويلة خلفيتها سوداء، اطارها مذهب فيها فتاة تلبس زيا شرقيا بغطاء رأس يرتفع في مقدمته ريش طويل وينسدل على جسمها رداء اسود مرصع بمساحات صغيرة مدورة ولوزية تبدو زرقاء فاتحة لامعة. وحول نهاية خصرها حزام معقود في الوسط يلمع في موضع العقدة منه شئ دائري اشبه بالحجر الكريم وينحدر على بعض ساقيها مازاد على الدوران بالخصر من طول الحزام في طرفيه وهما مرصعان بدوائر لامعة صغيرة بعضها اصفر وبعضها ازرق، وينسدل على جانبي جيدها شلال ذهبي من الشعر او ماقد يكون غطاء تحتيا اصفر.. وجهها حلو التقاطيع ونظرتها فيها انكسار.. تنتعل خفا صغيرا اصفر رصعته رصعة زرقاء.. الى جانبها الايمن كوزان كبيران، القريب منهما محزم بنقش اصفر وفي يدها كوز صغير رفيع العنق، في جانبيه مقبضان، والى خلفها من جانبها الايسر اعشاب ارتفعت سيقانها المتعددة تحمل ثلاث منها زهرا ازرق وفي يدها اليسرى كأس مقلوبة يكون ماؤها: او خمرها قد سقت ذلك العشب الزاهر، وفي هذه الصورة ذكريات جمعت مسعودا بتاريخ، لذلك فهو يأنس لها كلما دقق النظر فيها، او كلما زفر او كلما انتصف لمظلوم..

ارض الغرفة مفروشة بسجاجيد ثلاث عادية متفاوتة المساحة واثاثها اربعة كراس وقنبة ثانية غير التي ذكرت، وتنزل من السقف مروحة في غير وسطه.. الغرفة فسيحة ويرى الناظر من نافذتيها مساحات واسعة مما يحيط بالبيت وعبر الشارع، فاذا زاره زائر وجد الصعوبة في ايجاد مكان لجلوسه على القنبة التي تحمل كتبه واوراقه، ولكنه يختارها على بقية مواضع الجلوس (كما افعل انا دائما) ربما بسبب جذب الكتب لاحساسه بسبب طلبه لاستكمال صورة مسعود بضم الكتب اليها في مجاورته القريبة اليها وزائره يتحمله بالبجامة وبالروب، القديم في المعتاد، وبلفافة حول رأسه ايام فصول البرد، ويتحمل انعدام الترتيب لكتبه واوراقه فهي اذا رتبت انعدمت فائدته منها لانه يريد فتحها في اية لحظة..

لكن هل هو حزين على حاله هذا، لااظن ذلك، فهو لايفرح بدون سبب وليس عنده تفاؤل عبيط ولايسمي المر حلوا والهزيمة نصرا، ولكنه من هذا المنطلق نفسه لايخلق اسباب الحزن ويرضى بحكم الواقع بحمل النفس على تقبله مادام دفعه امرا غير ممكن، ثم انه لايضاعف من وقر المصيبة بالمغالاة فيها، ويحاول ان يدفع ثمن المنغصات بما ليس اكثر مما تستحق !

حميد المطبعي مع مسعود محمد

شخصيته:

وتدخل اليه بلا لفتة من يمين او يسار، فهو يسحرك في الالتفاتة الاولى، وقد استقر على قامة وسط وشكل غير منفر حتى اذا خالط البياض سواد شعره كانت المفارقة في حاجبيه: فانه بمثل ماحصل من التوازن في دخيلته فصارت لاتهتز بما قد يكون عند غيره مفاجأة مزلزلة، كان غالب البياض في حاجبه الايمن متساوقا مع غالب البياض في شاربيه وغالب السواد في حاجبه الايسر متساوقا مع غالب السواد في شعر رأسه، وهو غير متبرم بذلك على عكس ماقد يتصور في احوال مثله. فقد كان معنى التوازن المفهوم من ذلك مدعاة رضاه، كما كان الترهّل مقبولا في طبعه نزولا على حكم طبائع الاشياء وقد وازنته بقية من نشاطه الملحوظ في صباه فامدت عوده بالاستواء في عمر الثامنة والستين، وفي المرات القليلة النادرة التي يقف فيها للتصوير امام مصور يداعب صاحب الكاميرا بقوله: صورني احلى مما انا حتى ابدو في الصورة مقبولا، ولم تكن به حاجة الى ذلك في شبابه ..

عنده احاسيس او وساوس مرهفة زيادة عن اللزوم قد تكون امتدادا من العصبية الملحوظة عليه لاسيما في الامور التي لامنطق فيها ولاحكمة او مصلحة، فهو يثور بوجه من اذا قال له: اعطني ماء، سأله: ماذا تفعل به ؟ وهذا حق له، فماذا عساه يفعل بماء واذا قال لشخص: افعل هذا اليوم فاعترض بانه لافرق بين اليوم وغد لم يملك مسعود نفسه من عتبه بشدة، اذا كان لايوجد مايفضل الغد على

اليوم فماذا يؤجل العمل ؟ من الذي يضمن استواء الاحوال في غد، وهكذا.. فهو عصبي المزاج، لكن اغلب مايثيره (فقدان المنطق) في التصرف والكلام، اذ انه يكره الالحاح، ويستفظع انكار حقيقة واضحة للعيان، ويحتقر الالتواء فيما لاضرورة تدعو اليه، ويتعبه غباء من يتعامل معه، ولكنه لايسعى على قدميه الى مالايسر (باستثناء عواقب الكتابة الصادقة) ولهذا تراه مسحورا بصاحب المنطق الأحق ومفتنا به مهما يكن هذا المنطق موجعا له !

شكم الطمع والحسد، ويخجل كثيرا اذا ظن به التهالك على شيء، لايرد الاساءة بمثلها (وهذا واضح في ردوده النقدية) واذا اسيء اليه بلا سبب (وهذا هو الاغلب الاعم) كان اخف عليه من ان يكون له سبب.. على ان الاساءة بحد ذاتها، ام الخبائث، هو اخر انسان يعاتب، ويعفي غيره من ضريبة (وجوب الاعتناء به) وان كان من اشد الناس اعجابا بالوفاء ورعاية الواجب وقضاء الدين ومقابلة الاحسان بالاحسان بل المبادأة بالاحسان، متبعا قول الحكماء في ذلك: (اترك نتيجة احسانك خارج حساباتك فما من احد اجبرك عليه).. اذ ان من طبعه لاحكمة في انتظار المثوبة والمكافأة على عمل الخير ومساعدة الغير، مستهديا بقول احد الثوريين: (اعمل بلا امل في المقابل او لاتعمل) فان انتظار المثوبة يتعب المنتظر ثم انه يجعل من المحسن اليه عبد ذلك الاحسان..

مسعود في اهدافه الكتابية لايتحرك على اساس ان مواطنته وحقه في المجتمع باعتباره ١/ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٥ من مجموع الشعب تتيح له

مسارا هينا وكريما الى حقوقه فهذا وهم من الاباطيل، فلا يذهب برغبته الى اي مكان لايضمن فيه حريته، ولايطرق بابا مسدودا الا في الضرورة الملجئة التي لايملك لها دفعا، ومقدار الحرمة المتوفرة في الوحدة مع الكفاف اكرم واشهى عنده من بهارج الدنيا (فقد كان نائبا في المجلس النيابي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ووزيرا في اواسط الستينات بسجل ابيض) ولما كان لايحمل احدا على المشي وراءه فقد تعذر عليه اجبار الابواب على الانفتاح بوجهه، فانحصرت حيلته.. في اجتناب حقوقه ومطامحه المكتنفة بالصعوبة، فسهل بذلك وبعد التخلي عن حقوقه اجتناب المصاعب التي لاحق له في طياتها، ليس لانه متحنف ولاتارك دنيا ولكنه يحتفظ بماء وجهه لثمنه المطلوب: وهو الطمع والامل، وحركته في المجتمع اقل من المنتظر، فهو لايتحرك الا للضرورة، ووصوله في بعض الاحيان الى مظان الخير صعب، فمثلا قد يتأخر قص شعره شهرا عن اوانه لصعوبة الوصول، وحالة بيته عادية، اولاد يدرسون (على سر ابيهم في الطبع والتطبع) وحفيد واحد شغل لبه، وبقية الاسرة (كل في فلك يسبحون) اما عمله الآن فيكاد يكون لاشيء الا الكتابة فهي مورد نصف رزقه، وقراءاته متنوعة بحسب ورود الكتب فهو يقرأ كل شيء متميز بخصلتين: العمق والصدق، ويقرأ التافه اذا كان فيه شيء جديد وليكن نكتة، الجرائد لاتصله (وقد حاولت في ذلك ففشلت..) حتى الاعداد التي تحوي مقالاته غير موجودة عنده الا ماندر، ولايقوى على شراء الكتب لغلاء اسعارها فيكتفي بالكتب المهداة والمعارة ثم انه لايستطيع الانتقال

الى المكتبات كي يقرأ، على كل واي حال، قراءاته في محنة !

ذاكرته

وفي هذا كله لايجعل ذاكرته تلتقط الاشياء كما كانت هذه الاشياء على حالها، فقد صمم ذاكرته على وفق طبيعته، فهي ذاكرة وسط، ولكن تعمقه في مسائل الفكر عموما يجعل من الحوادث اليومية المعتادة والاحاديث العابرة كالزبد الطافي فوق اللجة، والواقع هو ان كل الامور التي هي بمستوى، الوسط من حيث الاهمية لاتكاد تجد لنفسها حيزا من اهتمامه، فهو لايقرأ شيئا وسطا ولايستمع الى غناء وسط ولايدقق النظر في جمال وسط من منظر طبيعي او بشري او مصنوع.. لقد شبع منذ عشرات السنين مما هو وسط ومعتاد ومتكرر ورتيب فليس غريبا ان لايعلق شيء منه بذهنه. ويبدو ان القدرة على استخراج الاثر المنسي من اعماق ذاكرته المدفونة موجودة عنده بمقدار، فانه كثيرا ماينجح في تذكر شيء يعلم انه قد وقع ولكن لايدري كيف ومتى، فاذا ركز الفكر واجاله في مظان وقوعه كان حريا ان يتذكره بوضوح ويخيب احيانا. وتتنوع قوة الذاكرات من كاتب الى كاتب، فقد يزيدها قوة الم الحياة ودقة النظر في هذه الحياة ومشاكلها، وقد تزيدها معاناة الكاتب حيوية، فتتدفق بسرعة وتعطي الخزين بسرعة، وهي هذه الذاكرة تضعف ان وقف الفكر في الكاتب، وان استسلم الكاتب الى وهن الاعصاب، وهذا يثبت ان موضوع الذاكرة ذو جوانب كثيرة، وربما كانت البحوث فيها حتى الان غير

مقطوع بصحتها ويكون بيان الرأي الشخصي في امر لم يتثبت منه العلماء المختصون شيئا غير وارد، والمهم ان مسعودا يرتبط بذاكرة تتلقى الافكار او تحتفظ بالافكار بقدر ارتباطها بالحياة !

حافظته

وهي كذاكرته في مقاييس الطبع ايضا، ولكنه لم يهتم في عمره كله بحفظ الاشياء واستظهارها حتى انه لم يكن في تلمذته يدرخ القصائد والمواد الاخرى المقررة في مادة العربية، ولحافظته احوالها في شأنه، فلقد تسنى له ان يحفظ حديثا طويلا معقدا من اول قراءة او اول سماع وذلك لوقوعه موقع القبول او الاهتمام من واعيته او لشدة الرغبة في حفظه، فقد حفظ اول ماالقي اليه وهو كلام (منسوب) الى الامام علي، فيقال انه قال لكاتبه: «الزق روانفك بالجبوب وخذ المزبر بشناترك واجعل حندورتيك الى قيهلي حتى ماانغى نغية الا وعيتها في حماطة جلجلاتك» فلما سأل الناس مامعناه قال ضليع في اللغة انه يعني مايلي: «الصق عضرطك بالصلة وخذ المسطر بأباخسك واجعل جحمتيك الى اثعباني حتى ماانبس نبسة الا وعيتها في لمظة رباطك» فقالوا وماذا عني هذا الذي قلت فاجابهم انه يعني: «الصق مقعدك بالارض وخذ القلم باصابعك واجعل عينيك الى وجهي حتى لاقول قولا الا وعيته في حبة فؤادك».. وكثيرا ماينسى مسعود نصوصا فيتذكرها عن سبيل استحضار معناها والتحري عن الالفاظ المناسبة لها والمناسبة للصيغة التي يتخايل في ذهنه انها صيغة تلك النصوص «وهذا مايحدث للمفكرين عموما» وهذه القدرة في العثور على اللفظ

المناسب للصيغة المناسبة جعلت مسعودا في سنوات دراسته الحقوق يحفظ كثيرا من نصوص الكتب بتكرار قراءتها حتى انه كان في بعض الاحيان يجد ترديد الصيغة الاصلية اسهل من خلق كلام ذاتي يعبر عنها.. واجزم ان هذه الحافظة التي تبلور فيها هي من الحافظات القوية الاعصاب بالقياس الى تمثله اللغة العربية باقوى بيانها وبالقياس الى النضج اللساني الذي يعبر عن حفظ مبتكر لاروع نصوص العربية بيانا وبلاغة ونحواً مما هيأ له سليقة بلا اعوجاج في نطقه وبلا لحن في نطق وبلا وهن في ميزان الصرف !

على ان مسعودا لايخلو ولم يخل سابقا من الانشغال بمشكلة (اللسان) او البحث في مشكلة تعلم اللغة الاخرى، وله في ذلك كتاب (لسان الكرد) وهو فتح في علم اللغات، ويبدو من مراجعة حياة الطفولة في مسعود او في غيرها، ان الطفولة اقدر على الجمع بين اللغات اما الكهل فانه بسبب كونه قد تأصل على لغة او اثنتين وغاص فيهما جذوره وبسبب ذهاب الحدة من حافظته وانحدار قابلياته عموما فقد تصعب عليه اضافة لغة جديدة الى قائمته القديمة من اللغات اذا قيس حاله على حال الطفل او الصبي في سرعة استيعاب لغة جديدة. مع ذلك فالناس متفاوتون في ذلك كتفاوتهم في الرسم والرياضيات والفلك والنحو وكل شيء، ولكن التفاوت لايمسح المبدأ فالكهل الذكي يكون في طفولته اقدر على سرعة الاستيعاب وان كان في كهولته اسرع في الفهم من الكهل البليد، وفي علم النفس ان الرغبة في الشيء تساعد على حيازته سواء أكان ذلك لغة أم غيرها. وسنوح الممارسة للغة يساعد بدوره في سرعة حفظها وهكذا.. وقد جرب

مسعود في بعض مراحل عمره انه يزداد فهما للتركية على حساب نسيانه للفارسية وما كان بدأ الانحدار في عمره !

افقه الفلسفي:

وانتج لسانه بالكردية والعربية ادبا في الشعروالقصة والسياسة والاقتصاد، ومن مجموع ذلك اعطى نظرات دقيقة الى الحياة، وانا اسمي هذه النظرات (افقا) فلسفياً، لان النظرة الى الحياة تترشح فيه، عن وعي اصيل، وعن دراية عملية، وعن تبصر بنظرية الاحتمالات، وعن فهم واستيعاب لدوره في المجتمع، حتى ان افقه هذا صار موضع نقد لخصومه الكثيرين، لان افقه الفلسفي سمة ثورية، ولان افكار مسعود محمد تشغل حيزا واسعا من اهتمام فئات المثقفين السياسيين ولاسيما في المجتمع الكردي او لاسيما في مجتمع المثقفين الذين يرون في افكار مسعود جدلا لبناء اقوى، وجدلا من اجل الارقى والاجمل.. وهكذا فهو:

مع المظلوم ضد الظالم مطلقا.. (في وقوع الظلم عليه حقيقة) !.

ومع المسجون ضد السجان.. (في واقع براءته حقيقة) !.

ومع المسروق ضد السارق..

وهو مع الحرية..

وهو مع مبدأ الاقناع لا الاعنات ..

كل عناصر الاثارة المجانية في القول والكتابة والشعارات مدانة (في نظره) وكل تعال وتبختر وتظاهر عبارة عن التفاهة والسفاهة.. وبقدر ماتنزل درجة الفوران في دم الفائزين تكون سلامة الوضع العام (في

اي مجتمع)..

وله نظرة في (التطرف).. اذ انه وحشية مطلقة، وتلك فلسفته في قائمة الادانات..

منطلقا من: ان الحقيقة مهما تكن خادمة للاكثرية، والباطل مهما يكن عدو للاكثرية، من هذا الافق يدعو مسعود الى الصدق والصراحة في اعماله الكتابية (ولم اجد نظيره كاتبا في مجتمعنا في حقبة الثلاثين سنة الماضية جريئا بجرأة قلمه، ولاسيما جرأة مسعود في كتبه التي اصدرها في الثمانينات) وحيث ان مسعودا درس القانون ومارسه ايضا في احدى وزارات الدولة فكان من الصانعين لقانون الاصلاح الزراعي (١٩٥٨) والمعارضين لقانون (التأميم الخرافة) في حكومة طاهر يحيى في اواسط الستينات، ان مسعودا (الكاتب والانسان والمناضل) كان يذهب في وعيه القانوني الى ان المجتمع مجموعة افراد، فالفرد اساس المجموع ويجب ايصال الخير الى الفرد مباشرة ومن ايسر واقصر طريق لا ان يصار الى توزيع الخير على (المجموع) كي يتلقى الفرد نصيبه، اذا ضاع الفرد في المجموع ضاع المجموع نفسه، وفي هذه الآراء (وعلى تواضع شانه) تكونت عنده نظرة الى الكون جعلت من المحال فصل المجرة من دبيب النمل، ولانقصد ان مسعودا يدعو الى ان دراسة النمل مرتبطة في المدرسة والكلية بدراسة احوال النجوم، لكن قصدنا هو ان مسعودا ينظر الى الحياة نظرة شمولية هي من طبائع الفلسفة التي لاتجزئ الدنيا او اي موضوع محدد الى قطع متناثرة، وان كل رأي يتكون عن شيء من

الاشياء يجب ان يتناغم ويتساوق مع الرأي في الشئ الاخر حتى لاتتناقض الآراء بتصادمها !

السياسي:

نعم هو سياسي في هذا الذي يعبر عنه في كتبه وفي اقواله، لكنه هل خاض السياسة، يبدو من اطلاعي على احوال مدينته (كويسنجق) وعلى احوال مدن الشمال، ان خوضه في السياسة كان قدرا مقدورا لافكاك منه، وكان ذلك قدر ابيه ايضا ولكن من ناحية الفكر والفلسفة لا الانتماء السياسي فقد كان كلامه في المحافل وكثير من كتاباته في صميم السياسة، اما ابنه مسعود فقد حصل انتماؤه الى الحزب الديمقراطي الكردستاني في اوائل تشكيله (١٩٤٦) بعد تخرجه في كلية الحقوق، ولكن اشترط الا يكون انتماؤه تقليديا، فهو لايستطيع المشاركة في الاجتماعات السرية فلم يطلب مركزا متميزا، ولم يكن بتلك الظروف مدافعا عن مصالح مهددة، فاليسار الكئردي كان مستعدا لترضيته وحاول جاهدا ان يستميله، ويزوره منهم اثنان في الاسبوع، وكان في طليعة قيادة التظاهرات في كويسنجق في المناسبات الوطنية والحركات النضالية العامة..

دخل معترك الانتخابات اول ١٩٥٣ وصار نائبا، والنيابة كلها سياسة.. اشترك في اول اجتماع لحركة السلام في ١٩٥٤ ثم اوقف في هذا العام بعد ترشيح نفسه للنيابة. وفي سنة ١٩٥٦ اشتدت عليه المراقبة بدون توقيف. هو إذن في هذه السياسة سياسي كردي عراقي يرى في هذه (العراقية) وطنا وتاريخا ولغة ووجدانا، وليس غير هذا

الوطن وطنا ينبع فيه تاريخه او ينشأ فيه تاريخه، وله في ذلك مذهب منتزع من الترجمة العملية لواقع تاريخه النضالي. مذهب يقوم على القناعة والعقيدة !

حرية النفس:

وهذا التفلسف في السياسة والتعبير عنه في الكتابة، او مانسميه (التعبير بحرية عن النفس) هو واحد في الكردية والعربية، ربما هذان القارئان العربي والكردي يتساءلان عن هذا الجوهر في مسعود محمد..

في واقع ابداعه، فان حريته او سهولة تعبيره عن نفسه تستوي في الكردية والعربية شريطة ان يصدر عن هذه وتلك ابتداء اي ان يفكر ويحرر بواحدة منهما لا ان يمتلئ بالتصور في هذه ثم يعبر عنها بالثانية، فاذا قرأ في الكردية شيئا، واراد ان يكتب عنه بالعربية اسلم الفكرة الى طبيعة التصور العربية للتعبير عن الاشياء والاحاطة بها، ويفعل الشئ ذاته اذا نقل الفكرة من العربية الى الكردية، وكان سيفعل هذا فيما لو كان متمكنا من الانجليزية، ولربما افتقد اللفظة المناسبة في احدى اللغتين، فأما في كتابته بالعربية فهو يلجأ الى نوع من التعبير يقرب الصورة الوجدانية التي وردت فيها الكلمة الى الوعي العربي ثم يأتي باقرب كلمة عربية متيسرة الى معنى الكلمة المقصودة، وفي الكردية فقد يعمل الشئ نفسه، وقد يستعمل اللفظة العربية اذا لم تكن (حوشية) في الكردية، فهو لايدخل (استعصاء) في كلام كردي الا اذا كان مقصودا لذاته، ولابد من القول هنا بان طول

الانشغال بلغة مايقولب الفكر على معاييرها وتداعياتها ويحدث نوعا من التلازم بينهما، فحتى يمكن التلبس بلغة اخرى يجب الانسلاخ من الاولى وهو سهل على مسعود محمد ويكفي فيه معايشته الفكرية لها ساعة من الزمان، وقد يكون للجانب الذ ي في صدد الكتابة دخل، فهو يأخذ نفسه بحكم لارجعة فيه، هو الا يهرب من (الفكرة) بسبب صعوبة التعبير عنها، فالقدرة المتاحة له على التعبير مجنُدة كلها ابتداء للنهوض بالامر، فلا خور او نقص في العزيمة يمكن ان يصادر شيئا من استعداده الفطري والمكتسب في فن التعبير !

هو الان متحرر من قبضة اي من اللغتين على قلمه في كتابته بالاخرى، ويفهم ذلك كل من تابع مسعودا في ابحاثه اللغوية، وربما كان شيوع بعض الاخطاء في صياغة كلمات كردية على المعايير العربية ذا اثر بالغ الضعف في كتابته بظهور واحدة من تلك الكلمات بين ثناياها، فهو لايرفض، الا نادرا، شيئا شاع بين الكتاب الكرد وسببه فقدان الاقيسة الكردية القديمة التي يمكن الرجوع اليها في تخطئة شئ مستحدث، ولايجد حاجة لاستعمال فقه اللغة وتكلف الحجج في شئ لاضرر منه.

ومعاناته في جمعه بين العربية والكردية في كتاباته تأتي من جهة المقدار المتاح له في تعمقه باللغتين وقد ينتصب كالرقيب على رأسه وهو يكتب، فقد يكون منهمكا في العربية واذا بصورة عريقة من صور التعبير الكردي تزاحمه او تزاحم عربيته متحدية للاتيان بمثلها او باحسن منها ويحدث الشئ نفسه في مزاحمة العربية لكرديته.. لكنها

معاناة خصبة كثيرا ماتقفز بكتاباته ولاتهبط بها ابدا، فهو اذا تيسر له الوقت يكون في سجال مع نفسه او سباق، ويدفعه في هذا المجال يقينه بانه مهما بلغت الكتابة من القوة والجمال فالمؤكد هو وجود الاقوى والاجمل !

شهرته

وبعد حلوله في المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٠ انتشر اسمه في المنطقة ككاتب، وشعر مع الايام بزيادة اهتمام الناس بكتاباته رغم وجود جبهة عريضة مناوئة لافكاره بين القراء الكرد، والواقع ان وقوفه موقف الناقد والمخطئ لغالب التصورات المتطرفة (المفارقة للواقع) بين مثقفي الكرد كان محور اهتمامهم بما يكتب، لانهم وقعوا فيه على شئ لم يألفوه قط.. لقد عانوا عسر الفهم بسبب عسر المطلب في كتاباته من جهة وسبب اسلوبه الذي يخاطب عقول الصفوة من جهة اخرى، ولكن الذي استقر منه في واعية الكثيرين منهم احدث فوق ماكان يتوقعه من تحريك البحيرة الفكرية التي كانت راكدة، ولقد كان بعده الشديد من التزلف، وهو ما يفرضه طبعه وخطورة المعالجات التي ينشرها، منفذا ولجه اشتات من الشامتين و (المستغرضين) الى تهويش ضد افكاره آل الى نتيجة واحدة هي اعفاؤه من وظيفته في المجمع الكردي، اما معرفة الناس في شمال العراق بمواقفه فانها بعد الذي كان من اشتهار استقلاله في الرأي وابتعاده عن المماحكات الفارغة، انها صارت شبه شاملة لما كان منها مجهولا قبل ذلك، ويبدو ان اللقاء التلفزيوني الذي اجري له وعرض يوم ٢٥ مارت ١٩٨٤

عمق فيه ملامح صورته المستوحاة من كتاباته عند عامة الناس، فقد كان ارتياحهم اليه فوق كل تصور، والاستدلال على مجمل ذلك يأتي من اهتمام سواد الناس به ممن لايعرفهم، فقد جامله سائق التاكسي وبائع الكباب وصاحب الفندق والخياط والبقال وعابرو السبيل وطلاب المدارس فالى اعلى المستويات سياسيا وثقافيا واجتماعيا !

هو لم يقم بمجهود ما لمعرفة عدد جمهوره من القراء، لكنه بغريزة الكاتب الكبير يدرك ان اصنافا من المجتمع تقرأه، وهي الاصناف التي يخاطبها مسعود بالعقل لا بالعاطفة، ولو تحرى المنفعة المادية وقدمها على رسالة الفكر لاستطاع ان يقدم كتبا تنفد اعدادها في وقت قصير، لكنه اثر ان يبقى في هذه الرسالة العالية، موقفا ثابتا في الاجتهاد، ومبتعدا من مغريات الحياة !

يقرأ وثيقة في نضاله ..!

■ موازنة بين سؤال وجواب

لااظن ان مسعوداً يتردد في الاجابة عن اسئلتي، فقلت:

* جيل الكتاب الجدد لايعرفك ..؟

ـ هل تسالني ام تقرر واقعا ؟ فاذا سالتني قلت ان جيل الشباب الكردي يعرفني لكثرة كتاباتي بالكردية ولتكن معرفة غير داعية الى الرضا بسبب اختلاف المدارس، اما الجيل العربي فلا علم لي به !

* اين تكثر شهرتك ؟

ـ يبدو اني معروف في بعض نواحي هذه الدنيا.. في اوربا لدى الجيل المثقف الشرقي المقيم فيها..!

* هل بلغت الحرية في كتاباتك..؟

ـ ربما كنت احد القلائل الذين استطاعوا ان يجدوا صيغا يمكن من خلالها نشر افكارهم فانا لم اتلجلج في ماكتبت. وكان خطابي دائما مع الرؤوس الكبيرة ذات الافاق الواسعة فلا اظنها تضيق ذرعا بحريتي، ثم اني اظلم المخاطب اذا كتمت عنه رايي فبمقدار شكي في قدرته على الاستيعاب تقل مصارحتي معه فاسكت.

* هل يتوازن الخيال مع الواقع في كتاباتك ..؟

ـ في الكتابة ذات الخطورة يكون خيالي مجندا للاحاطة بالواقع في امتداده وعمقه. قلما حلقت في الاجواء بما يقطع علاقتي مع الارض، وهذه الحقيقة كانت مانعة من ظهور قدرتي الكامنة في الوشي والزخرفة الا بمقدار. وان يكن هذا المقدار ملحوظا بقياس

كتابتي الى غيرها.

* متى يموت الكاتب ..؟

ـ يموت اذا مات ويموت اذا توقف ويموت اذا ابتذل نفسه ويموت اذا باع رايه ويموت اذا نافق ويموت اذا اقذع فاذا لم يمت في واحدة من هذه الحالات باستثناء الحالة الاولى، فعلى القراء ان يميتوه والا ماتوا هم !

* هل كسبت الجولة في كتبك ..؟

ـ السؤال محير بغموض طلبه فاقول على احد الاحتمالات لمعنى السؤال، اني كسبت الجولة اذا كان المقصود تبليغ الرسالة. واطرد الكسب منذ تهيات لي الكتابة في ١٩٧٢ وذلك بالتوسع في الصراحة وتقديم الافضل وهناك جولات اذا امتد بي العمر وامكنني الامكان، وفي راسها جولة كبرى لااعلم كيف اخوضها.

* متى يصبح الكاتب شعبيا ..؟

ـ لاقيمة للشعبية الغوغائية ولا كرامة في الشعبية المتزلفة.. شعبية الكاتب العظمى تكون امام ضميره اولا وامام المنصفين من اصحاب الراي ثانيا. الجاهل والمغرض والمحابي لاوزن له في موازين او مقاييس الشعبية الحقة لا ارى حيفا ان يكذب الكاتب في امر مابوحي صادق من ضمير منزه !

* هل الغرور ضرورة للكاتب ام عبء عليه ..؟

ـ الغرور قباحة مطلقة الا اذا قصد به الاعتزاز بالنفس او مقارعة الصلف وما الى ذلك وفي غير هذه الاحوال يكون الغرور وليد الخواء والجهالة او مرضا نفسيا مثل جنون العظمة، وعلى

قدر الاعتزاز بالنفس يكون التواضع مع الضعيف والاحتشام من القوي.

* متى يصبح الكاتب انتهازيا ..؟

ـ واظن المطلوب هو متى يعتبر انتهازيا ؟.. يعتبر الكاتب انتهازيا اذا كانت مجاراته لما يعتقد انه خطأ طمعا في الكسب ويعتبر جبانا اذ جارى بسبب الخوف فهو يستطيع السكوت فلماذا ينطق ؟ فاذا كانت مجاراته بسبب الانتماء فقط لاطمعا ولا خوفا فهو خاسر الدنيا والقيامة فلا يتقدم سياسيا ولايتقدم اجتماعيا.

امتداد الخلق في مراحل التخلق

وبشكل واضح يبرز (التحدي) في شخصيته ! وهو ينسجم تمام الانسجام، في هذا التحدي، بين شخصيته وآثاره الادبية، إذ لم اجد تناقضا في موقف له، او نكوصا عنه، فحين يتحدث اليك تراه واحدا، وحين يجادلك في اللغة او السياسة ترى هذا الواحد مسعودا بكل ماضيه وحاضره، بكل سره وعلنه، وهو لايكتم عليك مواقفه في كل تفصيلات الحياة، عاليا وباباء يصدر امرا او ينشئ موقفا، او يعطي اجتهادا في رأي ما، لذلك احبه خصومه، واقاموا له منزلة كبيرة في مناهجهم، ولعل ابرز مايوضح هذا التحدي في شخصيته، تعلقه بماضي شخصيته، في الطفولة وفي الاسرة وفي مدينته، اذ انه في عالمه هذا اتحد مع نفسه واتحد مع عواطفه اتحادا لاشائبة فيه، ولاعواطف متلجلجة أو مفتعلة، وهو من قلة من كتابنا الرواد من القت عليه حياة الطفولة والاسرة والمدينة ظلالا ساعدته على ان يمتد في حريته، وساعدته على ان يرسم له افقا رحبا في الفكر والنبوغ السياسي، جليلا وكريما في لحظة واحدة !

طفل موهوب

وجيله يروي عن طفولة مسعود امورا كثيرة دالة على انه كان يسبق عمره في الاحساس بالاشياء، فحين سمع الناس تقول من حوله: ان رجلا دجالا سينبعث وله حمار ضخم يستطيع سبعون الف يهودي ان يتفيأ ظل احدى اذنيه، قال ان ازقة كويسنجق ضيقة لاتسع هذا الحمار فلا تخافوا منه، وكان أبوه يستشهد بقول ابنه

مسعود هذا وبغيره في مجالسه على ضلال العقول التي عجزت عن ادراك ما ادركه عقل طفل، كان يرفض تصديق الخرافات، وحين كان اهله في الدار يأخذون اثناء نومه مابجيبه من نقود ويضعون الفحم مكانها بزعم انها تحولت الى فحم كان يصر على ان ذلك كذب وان النقود لاتنقلب فحما او غير فحم، على حين كان غيره من الاطفال يصدقون ذلك..

بدأ من عمر مبكر يقيس ارتفاع الابنية والاشجار قياسا نسبيا لمعرفة اعلاهابأن يذرع ظلالها في وقت واحد، فأطولها ظلا يكون اعلاها.. ولمعرفة مساحة السطوح التي لم يكن لها شكل منتظم كان يضع سطولا متساوية الحجم امام الميزاب الذي ينزل منه ماء المطر ليعرف اي واحد منها يمتلئ اسرع فيكون سطحه اوسع.. ويراقب اشياء في الطبيعة بدقة واستمتاع، ويتابع بنظره حركة الريح التي لاتراها العين، وذلك حين تهب منها هبة مفاجئة، يتابع اهتزاز الاشجار وارتفاع التراب وتطاير الحشائش في طريق اتجاهها فاكتشف في عمر مبكر جدا ان الريح ليست بتلك السرعة التي يتوهمها الناس، فكثيرا ما كان يستيقن من ان فرسا سريع الركض يسبق كثيرا من الرياح ..!

ابتدع العابا تصلح للفسح خارج الدور والعابا تصلح داخل الدور بحسب الفصول الجافة والرطبة.. حاكى البيوت ببناء صغير بناه، له سطح كاف ان ينساب ماؤه في الميزاب وقت المطر فأركب فيه ميزابا من قصب صغير وفرح كثيرا حين رآه في صغره وانخفاضه

لايفشل في اطلاق مائه عبر الميزاب فيقوم يحفر حفرته الدقيقة القصيرة في مسقطه، كما تفعل الميازيب الكبيرة بمقياس اوسع.. وكان يبتكر في الالعاب التقليدية بما يعطيها روحا جديدة، وكانوا قبله يحفرون الاخشاب على هيئة بندقية ويطلقون منها قذائف صغيرة خشبية ايضا، فركب هو في رأس القذيفة ابرة صغيرة ليكون مفعولها اقرب شبها بمفعول البندقية الحقيقية ولكن لم يستطع في ذلك العمر ان يبلغ بقوة القذيفة حدا يكفي لصيد العصفور بتلك الابرة او بما هو اكبر منها كالمسمار مثلا.. تحول في صنع طيارة الورق الى استعمال صفحات الجرائد فكان حجمها يبلغ اربع او خمس مرات من حجم الطيارة التقليدية، وعانىٰ شيئا من الصعوبة في ذلك للعثور على عيدان تركب في ظهور تلك الطيارات تكون متناسبة مع الحجم الكبير ولاتكون ثقيلة على الطيران ولكنه نجح.

قابلياته الفتية واتجاهات ادراكه المبكر كانت متوزعة على جملة ميادين منها ما يخرج عن اهتمام الطفولة المعتادة.. هو مثلا لن ينسى تمييزه وهو بعمر الحضانة بين لبس الرجل والمرأة وما يدل عليه اللبس من انتماء لابسه الى احد الجنسين، فرفض الرفض كله ان يلبس من اي قماش عليه مسحة نسوية، فعندما فصلوا له معطفا صغيرا من مخمل غالي الثمن رفض ان يلبسه الا بعد ان قلعوا منه النقوش الملونة من حرير متعدد الالوان.. وتبعا لهذا الاحتشام رفض ان يطلع عليه احد وهو يقلع او يبدل ملابسه، وهذا الاحتشام منعه من ان يتعلم السباحة مثل زملائه، وطوال عمر تلمذته رفض (هدوم)

في الدراسة المتوسطة !

الرياضة البدنية وعانى من ذلك ماعانى في المتوسطة باربيل بتحمل العقوبة الاسبوعية لغيابه عن الرياضة في يومها المعين، بينما كان بلاشك يسبق زملاءه الى ادراك موسيقى الشعر والتزام اوزانه ونبو طبعه عن البيت الشعري المختل، ونظم في سن مبكرة ابياتا، بل مقطوعات في الكردية يخفيها لخجله من ان تكون دون مستوى شعر الفحول، وافلت منها بعضها الى العلن فرددها زملاء له من اصحاب الصوت الحسن، ولكن ترك الشعر، ربما لخوفه من ان لايبلغ فيه من اول يوم مرتبة الشعراء المشهورين، وهو السبب نفسه، كما اعلمه عمه، الذي حال بين ابيه وبين الشعر في شبابه، فلم يرجع اليه الا بعد النضج والاكتمال في مطاليب جدية من هموم الحياة وحقوق الناس ومصائرهم ومسائل العقيدة المختلطة بالشعوذة فيستوي في ذلك او يتقارب في ذلك النظم البارع والمعتاد وربما كان معتاده المفهوم من عامة الناس اجدى واوفى بالمقصود ! ويروي مسعود احدى قصص طفولته عن ابيه: (كان أبي يروي لي من صور طفولتي امورا كثيرة غير متوقعة من الطفل، اذكر منها واحدة لاتبرح خاطري: حملني احد الخدم الى مجلس والدي وانا بعمر لااستطيع فيه صعود الدرج ولاالنطق الكامل. وكان المجلس مزدحما بعلية القوم منهم رأس وجهاء ذلك العهد قائممقام البلد جميل اغا الحويزي فما ان دخلت محمولا على ذراع المربي غرفة الديوان حتى رفعت يمناي الصغيرة الى مستوى حاجبي وسلمت قائلا: السلا عكم اي السلام عليكم فقام الحضور كله في شهقة استحسان واخذني القائممقام في صدره فجلست بينه وبين والدي رحمهم الله جميعا ورحم تلك الايام)..

وليست في ذلك مبالغة كما اظن !

وعندما يروي هذه الصورة او تلك من حياة طفولته و (استثنائيتها) لا اظنه يدخل في نوبة اطراء الذات، لكنه ماذكر الا ماهو من اوساط علائم النجابة في طفولته فمن الامور ما ادرك منها اشياء لاتروىٰ الا في حوار مع الذات فلقد كان بالنسبة الى لداته كأبينا ادم بعدما اكل من شجر الجنة (شجر المعرفة) فبدت له سوءاته.. احس بخفايا استغلق معناها على فهمه وردعه الخجل عن سؤال غيره فيها فلما استكنهها بعد اعوام كانت قد حفرت اخاديد في باطنه قدر لها ان تعيش معه رحلة العمر وامتد منها التأثير الى ماحوله ومن حوله (وهم لايعلمون) !

بيت العلم

وتكشف لي اوراق اسرته، بأنهم لم يكونوا من الاغوات او التجار والاصناف والحرفيين وانما كانوا من طبقة (العلماء، رجال زهد وتقوى ودين) ولكن بتميز كبير، وكانت مكانة اسرته العلمية وصيتها المتوارث خير محمل لقابليات والد مسعود النابغة التي اقامته في الصدارة بكويسنجق، ولو شاء لاصبح اكبر ملاك وجمع من القوة الدنيوية اكثر مما جمعه اخرون في اتباع التصوف ولكنه التزم الحق ورضي بالحلال وتعالى في نزاهته على الفرص المتاحة للغنى باكبر مقياس !

ولأسرته صلات مصاهرة مع آل حويز وهم كانوا احدى اكبر اسرتين متنفذتين في كويسنجق بدأت في زمن جد والد مسعود، الحاج ملا اسعد الجلي واستمرت الى زمن والده محمد، وهذا التشابك على

مايظهر بين الاسرتين لم يؤد الى طغيان الصفة الحويزية على اسرة مسعود بسبب امتناع ذوبان شخصية والده وجده في غير نفسيهما، لكنهم افادوا من هذه المصاهرة هذا الجامع الكبير في المدينة الذي بناه الحاج بكر اغا سنة ١٢٦٠ هـ فأصبح الحاج ملا اسعد الجلي خطيبه ومدرسه، وانتقلت الخطابة والتدريس بالتدرج الى والد مسعود وعمه حتى ترك مسعود هذه المهنة الى احد تلامذة ابيه (الملا معصوم الهورامي سنة ١٩٥٢ اثر وفاة عمه، وكانت لاسرته مدرستان تؤويان طلاب العلم، احداهما الجامع الكبير والاخرى مسجد الحاج ملا اسعد الجلي (جد ابيه) القريبة من بيته، وتستمر الدراسة في اشهر الصيف في مصيف الاسرة (جناروك) القريب من كويسنجق في السفح الشرقي لسلسلة هيبة سلطان على حين تنقطع الدراسة في الغالب في مدارس المدن خلال اشهر الصيف اذ ينتقل الطلاب فيها الى القرى ذات الماء البارد والفاكهة اللذيذة باحضان الجبال، وكان وجود هؤلاء الطلاب (بجناروك) في حد ذاته تكملة للصورة الجليلة التي ترتسم بها مكانة اسرة مسعود (الجلي) في الاذهان، وهذه الاوضاع المتصلة بحياة مسعود بما تبثه من ايحاء البهجة والتوسع والتوثق كانت تدرأ عن سلوكه مظاهر المسكنة والتهيب، لأنه كان يعيش في وسط دائرة من اسباب التفاخر كانت خليقة بأن يتهيبها بعض الناس، ويعتبر اثر هذه الاوضاع مما يستقر في النفس !

ابوه رجل العلم

وكان ابوه يلقي في بيت العلم على اسرته او طلابه مثلا عاليا في دروس

الاخلاق، ويستخرج الاخلاق من الحياة ويحولها الى امثال وحكم، ويحولها الى قواعد في السلوك اليومي، وهذا الكلام من والده بما صاحبه من اهتمام عميق ونية صافية صادقة وما شابهه من كلام كان يردده ويجدد فيه كل مرة ويأتي عليه بالشواهد ويلقنه طلابه ويثقف به عامة مستمعيه، كان له اثره البالغ في اختصار السبيل على مسعود الى تكوين رأي متكامل (حسب ظني على الاقل) في ملتقى قدرة الخالق على الخلق بقدرة المخلوق في التصرف، وهذا يعني ان الشوائب الضبابية المعتمة للنظر انقشعت عنه في عمر مبكر جدا ولولا والده فلربما عاشت في وجدانه مدة اطول.. نعم كان منذ الطفولة يرفض الاستسلام لما لايصدق ولكن شفافية الطفولة خليقة ان تنقلب غبشا اذا كاثرتها اتجاهات شهرا بعد شهر وسنة بعد اخرى، فكانت رؤيه والده الطليقة من قيود الآراء الميالة الى الانغلاق هي المناخ الصحي الذي يستنشق فيه مسعود الهواء النظيف وينطلق منه الى استقلال الرأي ونشدان الحقيقة والمجاهرة بما يعتقد.. ربما كان بتأثير هذا التعويد من والده على الصراحة والوضوح انه كره دوما ان يكون غير مفهوم او ان تظن به الظنون او ان يحمل كرمه على نية مبطنة، ومن المنطلق نفسه لايشك مسعود في الناس بلا سبب ويحمل كرمهم على ظاهره ويقبله ابتداء على انه صادق حتى يثبت العكس !

تأثر شديد بأبيه، هو بلاشك تأثر روحاني، بدليل اعجاب مسعود بما انتج الاب من قيم مثالية في شخصيته الفذة التي لها اشعاع على ماحولها من دون ان تتقصد ذلك، وبدليل ان مسعودا يحاول ان

يرسم له صورة ابيه في داخله تحاكيه في السمعة والشهرة، وفي المهابة والثقة والحشمة وفي المنطق السلس العذب الذي يحمل الى السامعين فيض العلم الغزير، وتنقل احدى وثائق اسرته ان ابا مسعود كان ذا رأي شخصي مستقل في اية مسألة يتكلم فيها بلا مضغ كلام او اعادة تعبير، وتنقل وثيقة اخرى، ان اباه كان خطيبا في الكردية والعربية والفارسية والتركية، يستطيع ان يرتجل الكلام بمستوى التحبير والتحرير في اية واحدة منها، ولهذا سماه الناس في زمانه «الملا الكبير» و «رئيس العلماء» واضيفت كلمة «جناب» الى «الملا» كلما اريدت الاشارة اليه فيقال «جناب الملا» فيعرف انه هو المقصود.. وكان من تأثيره ان عامة كويسنجق عرفت بانفتاح في الفكر وبعد عن الخرافات، وقد امتنع عن الدروشة والتصوف، ووصل في ميدان العلوم الاسلامية مرتبة «المجتهد في المسألة» !

ومن اغرب الغرائب «في حكم المتناقضات» ان يكون تأثير الاب على مسعود من ناحيتين متعارضتين، فهو من الجهة الواحدة اصبح نبراسا له في الايمان بالحق «بما يعتقد انه حق»، وبقولة الحق والتمسك بالحق، فهو فضلا عن نصحه الدائم للناس بوجوب الاستقامة ونبذ الكذب فقد كان تصريحه بارائه الجريئة في كل مقام ومقال وعلى علات الاحوال دون ان يعتريه التردد قد جعلته في نظر ابنه مسعود «الانسان + الكاتب» تجسيدا لامثل واجمل واكمل مايمكن ان يتخلق به شخص في محيطه من مزايا.. وهو من الجهة الاخرى بشخصيته الطاغية وتبحره في العلوم وبلاغته في الكلام وارتفاعه فوق اي مستوى من مقتضيات الواقع اصبح سببا في خمود

الشجاعة الادبية التي كان يمتلكها مسعود في طفولته وحداثته. ولقد ذاق مسعود الامرين في مقاومة هذه النتيجة المثبطة للمقارنة بين ابيه وبينه، وبقي كذلك حتى بعد وفاته في سنة ١٩٤٣، وماتخلص قط من اثار هذه المقارنة وان كانت خفت خلال الحقبة الاخيرة من حياة مسعود، الا انه افاد من تشرنقه وتقوقعه الانشغال بادامة الفكر في الاشياء، فربما كان الانكفاء على نفسه معينا كبيرا له على اقامة المقارنات بين الاشياء المتخالفة والتحري عن اوجه الخطأ والصواب في مواضيع قراءاته ومتابعة النبش في المشاكل الفكرية وما لايقتنع به من تحليلات وتعليلات، وليست في هذا غرابة، فتدلنا بعض مراحل حياته، انه بعد تخرجه في كلية الحقوق قضى سبع سنوات في شبه اعتكاف يسهر لياليها الى قريب الفجر والى طلوع الشمس مشتغلا اكثر وقته بالاستشكال ورفع الاشكال او رفض القضية من اساسها حتى انه توصل خلالها الى وضع الاسس للبنيان الفكري الذي نما في مابعد معه حتى بدت بوادره في كتاباته اثناء وجوده بالمجمع العلمي الكردي، وكان اخر شيء متسم بمقدار من النضج النسبي هو في كتابه الموسوم: «وجهة نظر في التفسير البشري للتاريخ» وان كنت اخالفه في فصل او في فقرة او في منهج في هذا الكتاب، الا انني وجدت فيه محاولة اجتهادية في نظرته الى التاريخ والى وضع الانسان فيه هي من خير المحاولات الاجتهادية ..

لم يحاول والده فرض ذاته على ابنه مسعود في اي شيء يتصل بمفهوم حرية الارادة والرغبة، لم ينهره، وكان مسعود وحيده

وموضع امله فتركه ينمو على جذره وحوله الزاد الثقافي موفور فوق الكفاية، فكان دور والده في تنمية ماعند مسعود من الاستعداد الفطري متمثلا في توفير اسباب التفتح والزيادة له بوعي كبير، ولاشك ان هذا الوعي من الاب كان ذا دلالة في صياغة مفردات الحرية في مسعود، ولاعجب، فلوالده مكتبة يحدثنا تاريخها بأنها من انفس المكتبات الشخصية فيها المخطوط غير المكتشف وفيها العلوم بما في العلوم من مصنفات، وفيها رسائل القادة والملوك والعلماء، وكل هذا التراث او فخر التراث كان قد لازم مسعودا منذ طفولته فانطبع في ذهنه، وتدرج عليه وفحصه وقلبه فأمتص منه خيره ومايوائم غرائزه في حرية الاختيار !

ثم ان والده علمه الحرية في اختيار الانسب والارقى في ان واحد، وعلمه ان يكسر الموروث «السلبي» في اعماقه حتى يصل الى «الاجتهاد الانسب» ولايفعل اب مثل هذا الا اذا كان هو مجتهدا، وحقا فتاريخ هذا الاب كان تاريخ اجتهاد، كما تقدمه كتبه واراؤه الكثيرة في الدين والحياة..

ام في الموهبة

وقد لاتختلف الام عن الاب في صنع الموهبة للابن الموهوب، وشأن ام مسعود محمد في تنشئته وتهيئته للحياة نابع من منتماها الى اسرة ذات اسم ومقام وشهرة في منطقة بشدر.. فاخواله وابناء اعمام والدته وامتداد جذورهم بالقرابة والصلات الى مساحات بشرية

واسعة اضاف بعدا عميق الغور لشعوره بالمنعة.. وحين كان مسعود صبيا، يرى زهوا عاليا في البيت، متمثلا بزيارة اخواله الى امه بخيولهم الرائعة واسلحتهم وخدمهم المهندمين، كان يعتبر ذلك عيدا اضافيا في السنة، وامه كانت «بحسب رواية وثائق الاسرة» سيدة في منتهى الطيبة ونظافة اليد واللسان وذات معشر، ثم لها مجلسها في كل ليلة يكمل مجلس الاب في الادب والظرافة والمجد، وبعد وفاة والده بقيت مجالسها هذه وازدادت مدى وبهاء، ولا اظن ان مسعودا سينسى ذلك الزهو الذي اضافته والدته الى البيت، خاصة عندما كان خؤولته يزورونهم فيحتشد المجلس على مرأى من نار البخارى Fireplacc وجمراتها المتلألئة فيدأب من يريد ان يدأب لشي اللحم عليها بانتظار ورود الصواني فتتصاعد الابخرة الشهية وتئز النار وتتجاوب الضحكات الخالية من هموم الدنيا والسمامور يغلي، عليه القوري ومن حوله الاستكانات وسكر «الكلة» الهولندية.. وواسطة العقد في ذلك كله هي: والدته، فقد انفرط بعد وفاتها، بل انه انفرط بعد انتقال مسعود من كويسنجق الى بغداد في سنة ١٩٦٥ لتعذر حضور قرابته وصحابته، او لان مسعودا يشغل الليل بالنهار في قراءة وكتابة الفكر وهموم الفكر !

وثمة شخصية اخرى في بيته تركت في مسعود ظلال الماضي المنيع، هي: عمته الكبرى التي كانت نبذت الدنيا على عهد جده اثر وفاة شقيقها الشاب، كانت وقورة وزاهدة تقرأ القرآن بلا انقطاع، لديها منه نسخة مخطوطة نادرة «أتت عليه الاستعارة الكاذبة» بعد

مواراتها الثرى لقنها والد مسعود، نقله لي مسعود فأذاب الحجر: «يامن حللت مقام امي.. ياتذكارا من حياة ابي» ويروي انه مابقى احد من الحشد الهائل من اهل المدينة الا تعالى منه صوت النحيب، ثم قال على قبرها شيئا ضمن ماقال لااعتقد ان احدا غيره كان يجرأ ان يقوله.. قال: «حين يزورك الملكان جددي ايمانهما من فيض توثقك بالقرآن وعلميهما الشروط والاركان فأنت منبع الهداية لمن يهتدي، يالرهبة ذلك اليوم على مسعود الفتى !

سلم العلم والمجتمع

هو اذاً من اسرة تمتد في الارض مثلما هي تمتد في سلم العلم والمجتمع، واسرته تلقب بـ «جلي زادة» نسبة الى جد مسعود الاكبر عبد الله الاول الذي انتقل من بيت والده في قرية «شيواشان» المشرفة على سهل بيتوين بقضاء رانية وعلى حوض دوكان حاليا وتقع في السفح الشرقي لاواسط سلسلة جبل كوسره ت، انتقل منه الى قرية «جلي ـ بفتح الاول وكسر الثاني وسكون الثالث» الواقعة في السفح الشرقي لسلسلة جبل سفين بموضع يقال له «اوه كرد» على مبعده ٥ر٢ ساعة بالخيل من كويسنجق نحو الشمال بغرب عبر سلسلة جبل «هيبة سلطان» بعد انتقاله ورسوخه في «جلي» لقب بـ كاكي جلي» ولفظ «كاك» يطلق للتوقير وهو يطلق على الاخ الاكبر في العائلة ويستعمل مجازا للدلالة على الاحترام ..

وليس من الصدف ان تنحصر مهنة الدرس والتعليم في الاسرة

بشخص واحد في احوال مادية او معاشية لاتساعد على تعدد العلماء ولكن ربما كان من الصدف ان يكون اكبر الاولاد في اسرة مسعود «جلي زاده» هو اليقهم بالمهنة باستثناء والد مسعود فقد كان ثاني ولد لجده اما الابن الاكبر فلم يكن به ميل الى الدرس فتركه الى رعاية مصالح البيت في معاشه..

وللاسرة قبل انتسابها الى «جلي» امتداد صاعد الى ستة أظهر واحد منها في شيواشان المذكورة والخمسة الاخرون في قرية «بيكه لاس» بشدر، وقبل ذلك كان اسلاف مسعود محمد عائشين في سورية مشتغلين بالعلم ايضا. الواقع ان الشهرة في هذه السلسلة العلمية بشمال العراق كانت مقصورة على المنتسبين الى «جلي» والملقبين «جلي زاده» وعلماؤهم ذوو صيت يحسبه بعض المؤرخين في الصف الاول من شهرة العلماء في الاسر العلمية الكردية الاخرى، والحق هو ان الشهرة التي لابست اسم الاسرة الى حد الاستفاضة كانت اول الامر مصاحبة لاسم العلامة عبد الرحمن الجلي «جلي زاده» ابن الملا عبد الله «كاكي جلي» فقد بلغ هذا الرجل مديات قصية في علوم الدين ومايسمى بالعلوم الالية في عرف اهل المدارس وله في بعضها تأليف بقيت منها رسالة في الحساب نسختها موجودة في مكتبة الاوقاف ببغداد وكتب اخرى وحواش على جل العلوم التي كانت متداولة في الشرق الاسلامي، وقد استقدمه عبد الرحمن باشا البابانى الى كويسنجق لمقامه العلمي وبروز شخصيته ورتب له مدرسة الحق بها جملة قرى يعيش من مواردها ويصرف على تلامذته، توفي سنة

١٢١٧ هـ. بعده كان ابنه الملا عبد الله الجلي الواثق بالله وله شهرة حسنة وتأليف مذكورة في بعض كتب الملا عبد الكريم المدرس، توفي سنة ١٩٤٦، بعده الحاج الملا اسعد الجلي الذي قال فيه عالم دمشق عبد الرحمن الكزبري «الشافعي الصغير في الفقه والتفسير» توفي في مكة سنة ١٢٨٩ ، بعده الحاج الملا عبد الله الجلي «جد مسعود» وكان من الشخصيات ذائعة الصيت، اهداه ناصر الدين شاه خاتم الماس ووشحه السلطان عبد الحميد ببعض فرامينه، توفي سنة ١٢٠٨، بعده والد مسعود المشار اليه، بعده عم مسعود الشيخ نور الدين الجلي، توفي سنة ١٩٥٢.

المقام العلمي والوجاهة وما اليها ميراث ممتد من هذه الاسرة واثرها في المجتمع يكون اظهر مايكون اذا قارناه بأثر اسرة مماثلة لها، ولهذا فان اثر هذه الاسرة الادبي والمعنوي بقي شديدا في اعماق مسعود محمد، يذكره بحضور الاسم الذي يديم الذكر ويحفظ الشهرة ويدفع الى الاقتداء في احسن الاحوال.. لقد حفظ الفولكلور الشعبي اسم بعض اجداده حتى ان احدى الاغاني الشعبية تقول في صدد امل المحب بمحبوبته انه سيأخذ فتوى من ملا عبد الرحمن (كاكي جلي) ويقول مثل شعبي اخر في صدد المحظوظ (بخته وخبز الحاج ملا عبد الله، وهو المحظوظ الذي نجا من الموت.. وكان انتشار تلامذتهم في مساحات واسعة من شمال العراق وغيره على مدى قرون من الزمان سببا قويا في دوام حضورهم وثبات اسمائهم في الخواطر. وكان والد مسعود في حقبة الثلاثينات ذا تأثير متميز في المنطقة،

ويعتبر من الناحية السياسية لدى المثقفين الاكراد امتدادا لرائد الفكرة القومية الكردية في القرن الماضي، الشاعر الحاج قادر الكويي (ولسعود فيه كتاب اتم منه ثلاثة اجزاء بحدود ١١٠٠ صفحة) والحاج قادر زميل جد مسعود وتلميذ والد جده في الدراسة وذو صلة وثيقة بالاسرة حتى انه بعث الى جده برسالة منظومة من استنبول (حوالي سنة ١٣٠٦ هـ) فيها اعتبر اسرة (جلي زادة) مؤسسة اركان العلم في الاكراد، وتلك مبالغة يستبان منها مدى رفعة هذه الاسرة في نظر رائد مثل الحاج قادر..

مدينته

وهذه مدينته (كويسنجق) لم يدون تاريخها، ولايعرف مبدأ عمرانها، وان كان الظاهر ان عمرانها قديم قدم قرية (بيبازوك) التي ترجع اثارها الى العصر الحجري القديم (١٠٠٠٠ سنة) او قدم قرية (اشكفت سقا) التي تنتمي الى عصر الوركاء (من العصر المعدني ٣٨٠٠) ق. م او قدم قرية (كومة شين) ذات الانتساب الاشوري، او غيرها من القرى ذات العروق المتشابكة في تاريخ العراق الكلي، او ان كويسنجق في نظر اهلها القدامى متزامنة مع قدم عين الماء الثرة المسماة (حماموك) (الحمام الصغير بالكردية) التي كانت بمقاييس الماضي تسقي مدينة من مئة الف نسمة او اكثر، فهي اذا خصصت للزراعة فقد سقت مئات المزارع لمئات المزارعين من صغار الزراع، اي انها تستطيع ارواء خمس مئة بستان، وعين حماموك هي العين

الوحيدة الى شرق اربيل تستطيع ادامة مدينة في مكان صالح لبناء المدن، اما مياه سهل بيتوين الى الشرق من كويسنجق فانها بسبب الملاريا لم تكن تؤوي الا ناسا مبعثرين يعمرون القرية فترة من الزمن ثم تصبح خاوية على عروشها لفتك الملاريا باهلها، وقد بحث مسعود هذه العلل بشيء من التفصيل في الجزء الاول من كتابه حاجي قادر الكويي.. وقد ورد للمدينة ذكر في بعض الكتب تحت اسم كوثار في الفتح الاسلامي، وكانت بجانب كويسنجق مدينة اخرى مسماة (ارموطة) - من عرموط - ، ويدل موقعها الاثاري المعروف بـ (بشمانيا) على انها مدينة اشورية ولها جذور في العصر الكلداني (البابلي الحديث) ٦٢٥ ق.م... وكانت كويسنجق لفترات طويلة من الزمن مركز لواء ومن توابعها اربيل وحرير وشقلاوة ورانية وقلعة دزه وانفصلت منها اربيل منذ ثلاثة قرون بأمر من الوالي التركي المهيمن على هذه المناطق.. وكويسنجق لها شهرة متواترة بكونها من مراكز العلوم الاسلامية القديمة والنشطة، وكان عدد المدارس الدينية والخانقاهات والتكايا في حضيض تقهقرها وتفشي الخراب فيها بعد الحرب العالمية الاولى اكثر من عشرين وكلها داخل سور المدينة، وفي كتب مسعود محمد، وهنا وهنا، دلالات واشارات الى تاريخ وعمق المدينة في هذا التاريخ، كان يأتي عليها واليها بروح من يرى عمقه فيها، ولو جمع هذه الدلالات عن مدينته وطورها لافادنا بكتاب نفيس عن اثر هذه المدينة في التاريخ العراقي !

على هامش السيرة

وهذا مافهمته من سيرته في بيئته او في جغرافيته او في اسرته، ولكن ربما كان لمسعود محمد رأى في ماتحدثت، واول ما اجابني عن سؤال: (كم فيك من ابيك وامك كأديب) قال: انا مستقل في انبعاثي الفكري والادبي، لا اظنني نسجت على منوال احد، ابي كان معلمي في الايمان بالحق والتزام الصدق وفتح لي باب حرية العقيدة والتصرف ولكن بلا تظاهر او ارشاد بالقول فقد تركني لرأيي ومذهبي في الحياة. امي لم تكن لتؤثر في منحاي الادبي الا باطار اجتماعي، بطيبتها ونبل محتدها وشعورها بالمسؤولية.. التقي مع ابي في تذوق المقروء والمسموع وذلك بالقدر الممكن من اجتماع جيلين بالاضافة الى ان ابي كان قد جاوز طور الانشغال بالافاويه، فقراءاته كانت بالضرورة جادة في اغلبها الاعم وان كان لايقاطع الدعابة والفكاهة، ويمكن اعتبار المناخ الجليل الذي يكتنف مكان وجوده وروح الفضيلة المحسوسة في مجلسه والاتزان المحتشم الظاهر على تصرفه قولا وعملا احد مكونات البوتقة التي صيغ فيها كثير من سلوكي فاذا وجدني شخص على غير ماهو منتظر مني شدتني تلك البدايات الى شعور بالخزي يكاد يقتل..

ثم قلت لمسعود: اين اشتركت واين افترقت عن الاسرة..؟

قال: اخذ مفهوم الاسرة على انه المأثور من سلوك الرجال البارزين فيها لا صعاليكها: لم اجد في معترك حياتي شيئا حاسما يستدعي مني ترك السلوك الاجتماعي الذي انساب معه اسلافي،

فكل ميل لي عن مسارهم هو حرية اختيار مني وليس انجرارا الى حكم الضرورة، كان ممكنا ان ابقى عالم دين كأبي ولكني اخترت طريقاً اخر. كان ابي نفسه متميزا عن اسلافي، ومنذ شبابه وبنظرته العلمية الواقعية الى الدنيا، كان يرى ان بناء جسر على النهر يعبر عليه الناس والاحياء خير من كرامة ولي يعبر النهر بلا جسر.. لم ارث كراهية الماضي، وقد نشأت هذه الكراهية عند اكثر الجيل من زمني وزمن الجيل الحاضر ظنا منهم بان تخلف الماضي كان من مزايا الماضي فرضت علينا نفسها. انا كرهت الشر في الماضي والحاضر ورأيت في العنفوان والتطرف انطلاقا الى التدمير لا نشاطا الى التعمير ...!

ليس كل الافراد سواء على صعيد تاريخ الاسرة وعلاقته بتطور الموهبة، فمنهم من يتمرد على العلائق فيشتط ومنهم من يتخلق بها فيجمد، ومسعود لم يكن في هذين: احترم صيت اسلافه فلم يتبذل وتجنب المباءات وابتعد عما ينال الكرامة، وجاهد الا يظن القوي به ضعفا والا يظن الضعيف به صلفا، ثم رأى انه مادام قابلا لحسن السمعة من اسلافه فمن حق المروة عليه ان يراعي ذلك مااستطاع، ثم اعطى نفسه الحق في ان يختار السبيل الذي يناسب ميوله ومقتضى زمانه، واظن ان ذلك من فتوى ابيه عليه: (ان كلا لزمانه) وهذه الفتوى لايقولها الا من فهم الحياة.

* العالم في عين مفكر !
اعطيته مفردات فكرية فعرفها تعريفا سياسيا:

١ ـ الزمن:	على ارضنا سربال وهمي ابلق ينسجه الوجود في ديمومته.
٢ ـ المرأة:	احلى مرةً تمشي منتصبة.
٣ ـ الثأر:	قتل الغضب من الظلم بما يكافئه.
٤ ـ الثورة:	غليان اجتماعي عنيف يدعى العلم.
٥ ـ الديمقراطية:	قدرة متحضرة في التعبير عن البشر.
٦ ـ الوطني:	ساع في مصلحة قومه بالمجان.
٧ ـ الموت:	كارثة ماحية تلدها الحياة لذي الروح.
٨ ـ الحقيقة:	تصديق الامتحان للتصور في عرف البشر.
٩ ـ العدالة:	مواضعة تستهدف احقاق الحق البشري.
١٠ ـ الموعد:	تأميل بلقاء.
١١ ـ الشر:	اخلال باستواء الاحوال المريحة.
١٢ ـ ذو الوجهين:	مراوح دائم بين كذبين.
١٣ ـ المجهول:	لطخة مظلمة محاطة بالعلم.
١٤ ـ المثل الاعلى:	بئر عميقة من التضحية أمكن انقلابها الى فوق.
١٥ ـ الخوف:	عجز عن مواجهة المكروه.
١٦ ـ الازدواجية:	الدأب على لملمة نصف الحياء.

استقامة الخطى في مختلف الدروب

وكشفت اسرته وبيئة اسرته عن فطرة مسعود في الحياة الاولى، وكل مارأينا في هذه الحياة هو: «التحدي» وصار هذا التحدي جزءاً من «بطولة الشخصية»، ويبدو انه حوّل هذه البطولة شيئا فشيئا الى كتاباته، اذ تقدمه على انه المعارض لافكار الاخرين، لكنها معارضة عاقلة، مدبرة، لاتلغي الاخرين ولاتسخر من الاخرين، مهما كانت افكارهم ومهما كانت فلسفاتهم، وهي معارضة بدون عناد، يرى فيها وسيلة تخدم الضرورة، وتطور الضرورة، ثم يرى في هذا التطور «تعايشا» نحو تجانس الافكار، ومقابل هذا «التحدي» كان لابد ان ينشأ فيه «التميز» فهو يشعر انه «متميز» لا على الاخرين وانما متميز في نفسه «وهنا منشأ الوعي الديمقراطي في مسعود» فطفولته متميزة، ولسانه، وحريته، ومقدرته في التفسير والتحليل، وحركته في الجدل، واذا كانت مرآته الاولى هي اسرته في هذا التميز، فان مراحل دراسته في المدارس النظامية تقدم لنا مسعودا متميزا في صفه وبين محيط التلمذة، وبين محيط افكار التلمذة، هما إذن عاملان ساعدا مسعودا على تماسك «البذور الاولى» في بناء حياته، التحدي والتميز، وكانا فيما بعد يشكلان «عنصر الاثارة» في شخصيته ..

البروز

ولم يكن يومئذ «في مرحلة الدراسة الابتدائية» من ميادين تظهر فيها الموهبة الفتية غير البروز في الصف والتميز بالتصرف، او ان هذا

«البروز» هو الاعلان الاول عن واقع الموهبة المكبوتة في ذات الانسان، وكانت الابتدائية بالنسبة الى مسعود دون سائر التلاميذ كأنها امتداد لبيته، فهي اولا قد فتحت في العهد العثماني، بناء على طلب والده من والي الموصل عهدئذ «سليمان نظيف» حتى ان البرقية التي ابرق بها الوالي الى قائممقامية كويسنجق تقول انه على شرف الملا محمد افندي امرنا بفتح مدرسة رشدية.. فكان والده يتعهدها ويشجعها ويدعمها ويصونها من نقمة المتقوقعين الكارهين لكل جديد، ويحترم المعلمين ويحب التلاميذ فخاطبهم في احدى قطعه المنظومة: «اني لا افرقكم عن مسعود..» ثم ان عمه كان احد المعلمين فيها، والمدير نفسه وثيق الصلة بوالده وفي مقام تلاميذه من حيث الانتساب العلمي، وبقية المعلمين كانوا كثيري التردد على والده، وكلهم كان يداري مسعودا، ويبذل معه فضل جهد في التفهيم، فالمناخ المدرسي كان منعشا له، وكان ابوه يزور المدرسة بين حين وحين، وكان قد بعث بابنته الكبرى قبل مسعود بسنة الى المدرسة لتدرس مع الاولاد معتمدا على احسان الظن وزيادة في تشجيع الناس على تسجيل ابنائهم في المدرسة، كان تلميذا غير بليد، يسبق زملاءه في فهم مايقال ويستعيره معلم الصف الثاني «وهو في الصف الاول» ليحل لاحد طلبته مسألة صعبت عليه او يجيب عن سؤال حار فيه.. وكان ابوه اذا زار المدرسة تتخذ الاوضاع فيها شكلا استثنائيا في الترتيب والنظام والهدوء، وفي كل مرة كان يتناول الغداء بالمدرسة مع المدير وبعض المعلمين الوقورين ويبلغ مسعود في مثل هذه الحالات بعدم الرجوع الى البيت في الغداء كي يكون معهم !

وظهور مواهب مسعود في المدرسة لم يكن منقطعا عن ماضيه بلا مدرسة، كان سريعا في الفهم ذا قدرة في الرسم، عذب الصوت، متقدما في اللغة، وقد اعطي الشارة الوحيدة الباقية في ارشيف المدرسة للتشجيع والاستحسان في اجتماع عام ضم هيئة التعليم والادارة ولكل الصفوف.. وفي درس القراءة العربية «وهو الخامس ابتدائي» بدأ المعلم يتلو في الكتاب جملا فأخطأ في لفظ كلمة فبادر مسعود برفع صوته مصححا، فقال له المعلم: «رويدك كنت سأصحح غلطي، وربما كان المعلم صادقا ولكن مسعودا اراد اثبات فهمه، وكان اصغر الطلاب سنا في صفه فهو اول طالب من الذكور دخل المدرسة في عمر التلمذة، وفي الخامس ابتدائي سأله معلم الجغرافية بل سأل الصف كله فيما يشبه المعمى، فقال: مااسم مدينة اذا اضيف ياء النداء الى اوله انقلب الى اكلة شعبية شهية ؟ فقال له مسعود في ثوان براغ» ـ عاصمة جيكوسلوفاكيا ـ والاكلة في التركية والكردية المستعارة يابراغ» وهي الدولمة. والدولمة بدورها تركية تعني المملوء المحشي.. ومثل هذا وذاك كثير مما كان يظهر في مسعود في مرحلة الابتدائية !

ميل الى عالم ثقافي

وشيئا فشيئا تتوضح ميوله الثقافية في مرحلة الدراسة الثانوية، وتنمو شخصيته بعوامل جغرافية جديدة، وبعوامل من الاحتكاك مع البيوت المعروفة. وهاهو يخرج من كويسنجق عالم القرية الكبير ليدخل اربيل عالم المدن الكبير وينتمي الى متوسطة اربيل، ليس هذا

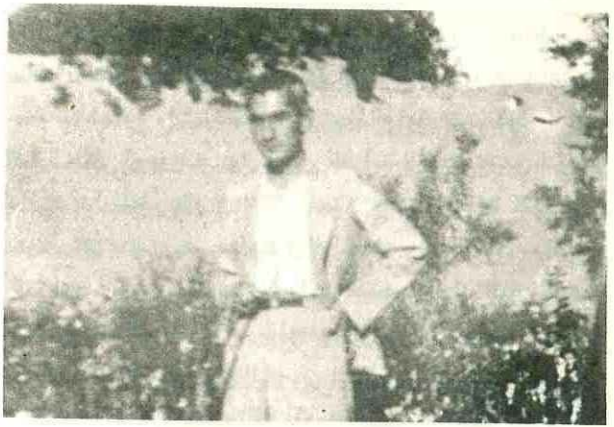

مسعود في شبابه !

هو المهم، وانما المهم، انه في اربيل نزل ضيفا عزيزا على بيت «ملا افندي» بباداوة «قريته على بعد ثلاثة كيلو مترات من اربيل»، وملا افندي رأس الوجاهة في اربيل علما ومكانة، وكانت باداوة ملتقى ذوي الرأي والمكانة واصحاب المناصب الكبيرة ولها صلات مودة بأكبر الشخصيات في بغداد بدءاً بالعائلة المالكة وانتهاء الى الوزراء ومن في حكمهم فلا تكاد نأمة تنبعث الا ولها صداها المسموع في باداوة، وفي بيت ملا افندي تعرف مسعود على ابنه عز الدين وكان هذا موهبة في المجتمع، وتنشأ بينهما صداقة لايوجد ماهو اقوى منها، وملا افندي نفسه كان يخص مسعودا بعطف ابوي، لما بينه وبين والده من صلات، ولما للأسرتين من تواشج منذ زمن بعيد..

واربيل ذاتها اوسع مضطربا واكثر اتصالا بالدنيا من كويسنجق وحياة التلمذة في المتوسطة اعون من الابتدائية على فتح المنافذ واستشفاف الخفايا، ان لم تكن الكبيرة فالصغيرة «ان لم يصبها وابل فطل» فكان انتقال مسعود الى المتوسطة بمثابة صفحة في حياته جديدة من كل وجه على الميادين، وليس من شك انه باستثناء انحصار مادة الدرس في المدرسة فان منابع توسع افاق مسعود جلها في بيئته الجديدة محصورة في قرية باداوة حيث تعرف على جلة القوم من الرؤساء وذوي الشأن وكبار المسؤولين الذين كانوا يترددون على اربيل ويزورون باداوة او ينزلون ضيوفا فيها !

وافاد مسعود من عز الدين ابن ملا افندي فائدة الاطلاع على العالم، اذ كان عز الدين على صلة تراسل وتعارف مع كثير خارج

العراق وتأتيه المجلات والصحف من عراقية وعربية واجنبية من كل نوع وشكل، وله عضوية في جمعية الطوابع المسماة «كونكورديا» ومركزها برلين وصار وكيلها في الشرق الاوسط، وكان مسعود يطلع على مكاتيبه التي تأتيه من الاعضاء المنتمين الى تلك الجمعية من جنسيات مختلفة احدهم سيف الاسلام اسماعيل من اولاد ملك اليمن وشخص اميركي اسمه جورج مدير عام شركة سكة حديد كبيرة في الولايات المتحدة اهدى اليه تذكرة قطار من الدرجة الاولى، ولعز الدين مكتبة من الكتب العصرية تغص فيها روايات لكبار الروائيين، فأحب مسعود ان يجاريه فبدأ اول مابدأ بقراءة سلسلة الروايات التاريخية لاسكندر دوماس مترجمة الى الانكليزية عنوان الجزء الاول منها Three Mosquiteers ونشرت في العربية بعنوان «الفرسان الثلاثة» واجزاؤها الاخرى تحت عناوين مختلفة وبأحجام ضخمة صفحات مجموعها اكثر من ثلاثة الاف صفحة، حتى اذا اتمها مسعود في اشهر كثيرة وهضم مافيها من اراء كانت نظرته الى التاريخ الاوربي والى قيم العصور الوسطى قد تبدلت، وفهم من التاريخ الاوربي وقيمه اضعاف ماكان التاريخ الرسمي المقرر بالمدرسة يمكنه من فهمه !

كانت اذواق مسعود وعز الدين متقاربة في مبدأ الامر ثم صارت شبه متطابقة، فقد تساويا في تذوق حلاوة التلاوة للشيخ محمد رفعة وفي اغاني كبار المطربين المصريين وماسمعاه من الاصوات المحلية وفي مقدمتها صوت «شهاب» الذي عرف في ذلك الجيل في الجمع بين

اجادة التلاوة واجادة الغناء في العربية والتركية والكردية، والظاهر ان صحبته مع عز الدين كانت منبع متعته، فقد كانت تنفتح في حواراتهم دنيا من البهجة المشوبة بالمعرفة سواء بالقراءة او ببيان الرأي ووجهة النظر، ويتابعان في الصحف حركة الدنيا داخلا وخارجا في شتى مناحيها، ويتبادلان الاسرار التي لاتقال لاحد اخر !

في المدرسة تبين ان مسعودا احسن المتكلمين بالعربية «وبالانكليزية ايضا» رغم ان دراسته الابتدائية كانت بالكردية وتعتبر العربية فيها درسا كبقية الدروس مع زيادة الاهتمام بها، على حين كانت الدراسة في المتوسطة في اربيل عهدئذ بالعربية، كان تقدمه في الانشاء العربي مطردا «وتعتبر مادة الانشاء والتجويد فيه الخطوة الاولى للكشف عن قابليات الطالب الادبية» وكان هذا يساعد مسعودا في الدروس التي يقوم الاداء اللغوي بدور فيها كالتاريخ، وقد حدث انه في الامتحان الشهري لدرس التاريخ اعتمد على قوة الانشاء «فربما لهشاشة معلوماته» في الاسئلة المطروحة فكانت تأشيرة المدرس في نهاية اجوبة مسعود: «اسمع جعجعة ولا ارى طحينا» ولكنه مع ذلك اعطاه ٧٥ ولربما كان قد اعطى اقل من ذلك لطلاب اخرين صاغوا فضل علمهم في عبارات ركيكة، ويوم اصبح، في بعض السنين، مدرس العربية هو مدرس التاريخ، فقد ضمن مسعود ما لايقل عن ٩٠ درجة على علات احواله في مادة التاريخ !

قراءاته تنوعت وتشعبت، وكان بطبعه ميالا الى عالم ثقافي ارحب واعمق من عالم الدروس المقررة «وبلغ في هذه المرحلة مدى من الالمام

بالثقافة العربية عموما مكنه من المفاضلة بين ادباء العروبة وكتابها سواء في العراق او خارجه اي انه صار يملك رأيا خاصا به وان يكن رأيا طريا مشوبا بنزوعات الشباب، وكما قلت في فصل سابق، فقد اصبحت الرياضة شبحا مخيفا لمسعود في مرحلة المتوسطة، وسببا كبيرا من اسباب عذابه، ذلك انه كان يرفض فكرة التعري في ملابس الرياضة مهما تكن النتيجة، وكان مدير المدرسة خرشيد سعيد حازما في فرض النظام، ففي يوم الرياضة من كل اسبوع كان يعاقب بسبب غيابه عنها ومعه ثلة من اترابه، ويمنعون من الرجوع الى البيت في فترة الراحة بين دوام الصباح ودوام المساء ويريضهم المدير بنفسه في ملابسهم الكاملة رياضات شاقة مستنفدة للطاقة والجلد.. وقد دفعه ضيقة بهذه العقوبة القاسية الى طلب مساعدة الدكتور صبري القباني «وكان طبيبا في مستشفى اربيل وصديقا لبيت ملا افندي عموما ولعز الدين خصوصا» بمنحه اجازة مرضية عن الرياضة فاعطاه اجازة يومين ولم يكن يستفيد منهما الا يوما واحدا، فبدل كلمة يومين الى شهرين بكل ما في استطاعته من قوة تغيير الحقيقة ولكن رأس حرف الواو في «يومين» بقي ناتئا وظل هذا الرأس يدغدغه حتى مرت الخديعة بسلام اذ بلغ مدرس الرياضة رأس الواو هذا ظنا منه انه زيادة او شطحة دخلت على راء الشهرين .. ولكن بقيت الرياضة رياضة !

في اشهر العطلة الصيفية كان يتبادل مع عز الدين رسائل اسبوعية بالعربية مرة وبالكردية مرة بحسب الصدف، كانا في هذه

الرسائل يطوران لغتهما واسلوبهما، وان بعضا منها كان من الحلاوة والطلاوة بما يرفعه الى مستوى القطعة الادبية، وتتسنى لهما تعابير وهما مسترسلان، تفوق مايتوقعه عالم العربية من مثلهما مبتدئين في الكتابة وفي بلدة مثل اربيل وكويسنجق، ثم وصلا الى حد النظم، وكان جديدا على عز الدين، اما مسعود فقد كان منذ مدة من ايام صباه اخرج طموح الشعر من طمعه، وفي السر نظم قطعة في مدح والده لم يطلع عليها انسان، ولم يعد يذكر منها الا اولها:

من قال ان العلم ليس بذي جسم
الم ير ابن جلي صيغ من علم

ولو شاء كانت الكردية طيعة لطبعه الشعري ولكنه كان يعد نفسه لشئ اخر !

وفي احد الايام زار متصرف اربيل يومئذ محمود فخري متوسطة اربيل «وكان هذا المتصرف على صلة صداقة متينة مع كل من ملا افندي ووالد مسعود» بعد ذهابه ارسل على مسعود مدير المدرسة وقال له: ان المتصرف يطلبك في ديوانه بالسراي فاذهب اليه، فراح اليه ورحب به واستبقاه مدة، ومن مقام العمومة اراد ان يقبل منه نقودا عرضها في منتهى الادب، فاعتذر مسعود بأدب مماثل عن عدم قبول النقود فقبل اعتذاره عن قناعة. مثل هذه المظاهر الصغيرة ذات الدلالة على وجود اعتبار خاص لتلمذته كانت تعود على معنوياته بذخر اضافي.. حدث بعد ذلك ان مديرية معارف كركوك التي كانت تشرف

على التعليم في اربيل والسليمانية ايضا قررت من ذاتها ودون طلب او مراجعة من احد تخصيص راتب له (مقداره ٥ر١ دينار) كان يعطى في العادة للطلاب الفقراء القادمين الى مركز اللواء من خارجه الذين يثبتون فقرهم بالمضابط الرسمية المصادق عليها من ادارة القضاء وهيئة الاختيارية والمختار، طلبه المدير فافهمه الموضوع، وقال: ارى ان ترفض بسبب مكانتك ومكانة ملا افندي ووالدك رغم علمي بان المعارف ارادت تكريمك لانك ـ بدون شك ـ لم تطلب مساعدة، فقال مسعود: (اني كنت سارفض بتة.. وقد سر ملا افندي من تصرفه وكذلك والده.. وكان وضعه في المدرسة بسبب مكانه في (باداوة) ومقام والده على شيءٍ من التميز الذي لا تظاهر فيه من احد، وكان مسعود يقدر ذلك ويزداد به شجاعة ادبية ووثوقا في دخيلته، وكان مما يحمل على زهوه انه وجد توصيات خاصة بدخوله الى غرفة المتصرف دون تأخير فالشرطة في باب السراي والمباشر الواقف بباب غرفة المتصرف والنظارة من المراجعين كلهم كانوا على علم بان ابن فلان من كويسنجق يزور المتصرف، وفي الاماسي كان ضيوف ملا افندي من رؤساء العشائر ينتظرون فراغه من الدوام الثاني كي يرجعوا سوية في احدى سيارتي ملا افندي الى «باداوة» وهناك في الديوان الكبير يجلس مسعود وسط اهتمام الكبار!

وفي هذا الديوان استمع مسعود الى حوار الدكتور سامي شوكة «مدير معارف بغداد» مع ملا افندي وكان والد مسعود حاضرا؛ وقال ضمن ماقال شوكة انه سمع كثيرا عن موائد ملا افندي العامرة،

فقال والد مسعود وقد استنكر في قلبه كلام سامي شوكة؛ ان لملا افندي مائدتين، مائدة علم ومائدة طعام فطالب العلم يمدح واحدة وطالب الطعام يمدح اخرى، فلملم الدكتور سامي نفسه وبدأ يحسب للديوان حسابا جديدا لم يكن متلائما مع البنطلون القصير الذي كان يلبسه، ثم قال الدكتور سامي شيئا في حادثة تاريخية نسبها الى القعقاع، فقال والد مسعود ان ذاك كان ابا محجن الثقفي، ثم صحح له شيئا اخر قاله في موضوع مماثل عندئذ قال الدكتور: ياسبحان الله ان معلومات الاستاذ واسعة جدا، فقال له والد مسعود: او تظن ان العمامة لاتخفي تحتها الا ضرب زيد عمرا ؟.. واستمع مسعود بل شارك في مجلس ملا افندي في احاديثه شخصيات ذلك الزمان، وكان الكبار يسمحون له بالمساجلة احيانا وبالمناظرة اخرى وبأبداء اجتهاداته في احيان اخرى، وان حضوره في مثل هذه المحاورات وطلاقة ابيه في بيان الرأي ومجمل ماكان يكتنفه من صور الاجتماع المتنوعة شكلا ومضمونا وهو يعيش في قرية باداوة لخمس سنين كاملة في دراسة الثانوية، كل ذلك بما شكله من امتداد صاعد لحياته غير المسكينة في مرحلة الابتدائية كان تمهيدا قويا لاغناء مستقبل اي انسان ..!

فتحت الثانوية لاول مرة في اربيل للسنة الدراسية ١٩٣٧/١٩٣٨ وكانت الدراسة فيها سنتين، فلما اكمل مسعود المتوسطة في ١٩٣٦/١٩٣٧ دخل بعدها الثانوية في اربيل نفسها، وضيفا ببيت ملا افندي نفسه، وكان ذلك بشرى له، ولربما لعز الدين ابن ملا

افندي ايضا.. ومن احداث تلك الفترة التي تركت في مسعود اثارها، انقلاب بكر صدقي، والذي كان له اثر باق في نفسه في حيثياته هو كتابات عبد الغفور البدري في صحيفته اليومية معارضا بها الحكومة الانقلابية، واعجبه منطق الصحيفة وجرأتها، وكان مسعود بطبعه ميالا الى حرية الرأي وممارسا لها في حدود ممارساته قولا وعملا فحصل تطابق بين الذي هو في دخيلته وبين الذي هو ماثل في الجريدة، ولم تعمر طويلا فسدت.. مثل هذه الاحداث في مجملها يفتح نوار التطلع في قلب ابن السابعة عشرة اذا كان على شيء من الادراك السليم والاستعداد الفطري للتفاعل مع ماهو واقع، فالحدث نفسه لم يكن متصلا بالمدرسة الثانوية ولكنه لابس فترة وجوده فيها فأختلط هذا بهذا في انمائه.. وواقعة مصرع الملك غازي بعد سنتين من الانقلاب ايضا كانت محركة لعواطفه، ولكنه كره تظاهر بعض المتباكين واحترم بكاء المخلص في دموعه، وكان تسنى له ان رأى الملك غازي وصافحه ايضا قبل تلمذته في المتوسطة اثناء احدى زياراته لاربيل، فوجده لطيفا ومحبوبا وعلى بساطة فتداعت صورته في مصرعه الى واعيته بقوة ولكنه لم يشارك في المواكب التي نظمت مناحة عليه !

منافذ للنظر والفكر

ويحمل هذا الارث الذي تلقاه في بيئة اربيل الى كلية الحقوق سنة ١٩٤١ وهناك سيجد طاقته تتفتح على عالم ارحب، وهناك ايضا سيجد مواد دراسة الحقوق هي مواضيع مألوفة اليه، سبق ان انس

بأغلبها بتنوع قراءاته وبما كان يتردد في سمعه من دروسها المتعلقة بالشريعة امور جمة اثناء مجالس الليل والنهار مع طلاب العلوم الدينية في كويسنجق او مصيف «جناروك» انه لم يفاجأ بنظريات الحقوق ومسائل الفقه فيها وانما انشغل بعمقها، وكان جل اساتذته من المصريين ذوي النظر الواسع والخلفية الثقافية والاوربية والتواضع الضارب في العمق.. وكان الاستاذ حسن ابو السعود قد اورد في احد كتبه مثالا على «مبدأ القياس من باب اولى» فوجد مسعود شيئا اخر مختلفا، فأمسك بالاستاذ في المجاز الواقع بين الصفوف وقال له: ياستاذي ان المثال الفلاني في ظاهره الموحى بالقياس الاولى ماهو الامثال لمفهوم المخالفة، فحدق الاستاذ في وجهه برهة ثم قال: يظهر عندك مخ.. كلامك صحيح ولكن المبدأ في كتابي سليم والمثال خطأ «رحم الله هؤلاء المتواضعين» وكان الاستاذ علي الكريتلي «اصبح دكتورا فيما بعد ووزيرا في مصر بعد الثورة» قد اعطى في امتحان نهاية السنة بمادة «المالية» للصف الثاني سؤالا من بين الاسئلة يحمل معنيين احدهما سهل والثاني صعب وقد اختار مسعود الصعب فتأخر به الى مابعد انتهاء وقت الامتحان بعشر دقائق بقي فيها معه الاستاذ على نفسه ولم يستعجله ، فقال له بعد الانتهاء من الاجابة ياستاذ هذا السؤال محير بما يطلبه فهل هو يطلب هذا الطريق السهل.. قطعه وقال «ده هو المطلوب» قال مسعود: انا رحت في داهية فقد اخترت الطريق الصعب.. وبعد يومين وهو في اداء امتحان درس اخر جاءه الاستاذ وهمس في اذنه: اعطيتك الدرجة الكاملة، وربما ان اجابة مسعود غير المطلوبة كانت شفعت له

اخطاء لابد ان تكون وقعت في اجوبته الاخرى فرشحته بذلك للدرجة الكاملة.. على حين ناقش مسعود اكثر من استاذ عراقي على امور صوابه فيها كان اوضح ولكن دون ان يستطيع زحزحته عن النظرية المتوارثة.. منها انه ناقش في اركان (الاكراه كسبب مبطل للتصرف) الشرط الذي يقول بوجوب ايمان المكره على صدق نية المكره في تنفيذ تهديده فقال مسعود انه كفى سببا لتحقق الشرط ان يكون المكره قادرا على التنفيذ والظروف موحية به لتعذر الوصول الى ما في دخيلة الانسان.. وهكذا.. ولكن بلا فائدة وبلا اقتناع من الطرفين... جاوب على سؤال في الاقتصاد عن (اسباب الازمات) وخالف في جوابه كل الاراء التي وردت في كتاب الاقتصاد، ذاهبا الى ان التنبّؤ بوقوع الازمة امر خارج الاحتمالات ولكن يأتي تحليلها وتعليلها بعد وقوعها.. في كلام طويل يسد شهية صاحب الكتاب ولكن صاحبه الدكتور جابر جاد عبد الرحمن هنأ مسعوداً عليه وجامله فيه بلا ادنى مبادرة من الامتعاض (الف رحمة تنزل على هؤلاء المتواضعين).. وربما كان مخزون اساتذتنا العراقيين في مادتهم كثيرا جدا ولكن القدر الذي يظهر منه على لسانهم في مجال المناقشة اقل من المطلوب، واسلوبهم في الاخذ والعطاء اسلوب متوتر يشارك في توتره السائل والمسؤول !

المعترك العذب

ورأى مسعود في كلية الحقوق صراعا في الافكار والتيارات، والدنيا حرب، فكان يدخل في هذه الدنيا بعين المثقف الكردي المستقل

لكنه المنحاز الى قيم الحرية، في فورة من عواطفه القومية، وكان الاساتذة يرون فيه عودا اخضر سيطل يوما شجرة تثمر افكارا ديمقراطية، ابتعد عن المشاجرات العابثة، لانه اراد ان يكون الفكر نابعا من ارضه، واراد لشجرة العراق ان تزدهر في حقلها وتربتها، وتشرب خلال هذه الحقبة مبادئ من الماركسية على غير استسلام لمقولاتها ومن موقع الترصد لمصاديقها ونواقضها في الاحداث، وكان في حرز نسبي من الماركسية او اية فلسفة اخرى ذات افكار متأبية على النقد، بما كان عنده من الانتماء الى الفكرة القومية التي لم تكن في مثل وضع الشعب الكردي على حاجة الى فلسفة تتطلب بالضرورة واقعا يناسبها، وله في هذه النظرات اكثر من بحث في تلك الحقبة، كان يدعو في اغلبها الى البديل الفكري عن نظام الديمقراطية البرلمانية في انظمة العهد الملكي، ولقد دخل هذا المعترك اثناء سنوات الكلية محافظا على استقلاله في الرأي ومع شيٍ من الميل الى اليسارية، ودعي الى الانتماء الى احزاب ولكنه لم يستجب، لان افكاره وافكارهم لم تأتلف، وكانت تلك نافذة، ملونة الرؤى، اشرف منها على صور اجتماعية لاتتاح بسهولة لرأي طالب، وفي قلب الحرب العالمية الثانية جمعته مصادفات مع بعض وجوه اليسار الديمقراطي فاعجبته اخلاقهم ولكنه وجد افكارهم منشغلة بالمثل العليا التي لاصدى لها في واقعنا، فكأنها انشغلت بنفسها دائرة في شبه فراغ، وفي هذا المعنى بعد تفكيره اللاحق كتب مسعود محمد سلسلة مقالات بعنوان كبير: الديمقراطية في العراق، لعلنا قرأنا مضامينها في كتبه السياسية وفي كتبه عموما، وكان فيها المنظر والمشرع وصاحب التجربة السياسية القومية !

الافق الجميل

وهذه السياسة التي انشغل فيها لم تمنعه من الذهاب الى عالمه الجميل في الادب والفنون، ففي رحاب هذه الكلية ناقش اساتذته في محاضراتهم وناقش فيهم الفكر والعقل ولاسيما في حضوره المحاضرات الكبيرة ذات الاثر البعيد كالمحاضرات التي القاها على منتدى مزدحم الاستاذ في القانون الدستوري الدكتور مصطفى كامل (وهو غير مصطفى كامل العراقي) تحت عنوان (دور الملك في السياسة) والتي حضرها نوري السعيد وجمهور المثقفين، ولقد دافع (في نقاش مع ثلة من انصار العهد الملكي) عن المبادئ الديمقراطية التي ينبغي ان يكون الشعب العراقي حاضرا في صنعها وقد احدث في نقاشه صدى في الكلية، ولعلة في الاحداث استدعاه العميد وافهمه ان وزارة المعارف رشحته لبعثة دراسية زراعية الى مصر (بسب ان معدله في الثانوية كان اعلى معدل بين زملائه !)، كانت الحرب على ابواب الاسكندرية والمستقبل في المنطقة كلها مجهول فاذا ذهب وقطعته الظروف عن العراق فماذا يعمل.. اعتذر بلباقة !

وفي الكلية كانت متابعاته للحركة الادبية العربية عن طريق قراءاته في تآليف ادباء مصر او مقالاتهم (..وكانت طريقته في القراءة استيعاب الفكرة ونقدها في هوامش على جزازات صغيرة يدفنها في الكتب المقروءة وقد ضاعت كلها بسبب ما عرف عن مسعود بعدم اهتمامه بالاراشيف وبعدم اهتمامه بجميع ماينشر له، وهو على كل حال نقص فني يعانيه مكرها).. وكان حسن الصلة بالفن المصري

تمثيلا وغناء وموسيقى.. كان يتذوق شيئا قليلا من الغناء البغدادي لبدائيته المؤسية وتخلفه عن العصر بمراحل منقطعة اوائلها عن اواخرها، اذ يعتقد ان الغناء العراقي لما يزل يتعثر في اعتاب عالم التعبير الغنائي عن مضمون النظم، وحتى الان لاتوجد اغنية عراقية بمستوى الجندول مثلا وقد لحن من حوالي نصف قرن، ولمسعود. اراء في اللحن يلخصها في ان اللحن العراقي مقبرة الصوت الرائع.. فقد استهلك ناظم الغزالي صوته الجميل المعبر في تفاهات ـ من وراء التنور ناولني الرغيف، وطالعه من بيت ابوها، وهو يرى ان التهجئة العراقية للكلمة بعيدة عن الغنائية، فاذا لم يتجاوز المتكلم العراقي شدة تمسكه بما يسمى (الكسرة المختلسة) حتى انه يقلب الدرب الى (دروب) والقلب الى (كلوب) وقد قلب سعدون جابر الشمس الى (شميس) واذا لم يكف عن قلب حروف الشمس الى حروف القمر واذا لم يهجر قلب كاف الخطاب للمؤنث الى (ج) فلا امل في نشوء او ظهور أي اداء غنائي خليق بالعصر، ويقول ما عرفت نظما جنى عليه التلحين مثل (لاخبر لاجفية..) الذي بلغ مستويات حسين السيد في مثل (ساكن قصادي وحياتي انت..) بل ربما جاوزها وهذا مؤكد في ماذهب اليه مسعود !

الفيلم السينمائي عموما كان يجذبه وتشغل مواضيعه ذهنه، ولكن الناحية الفنية فيه من حسن الاداء وروعة الاخراج وذكاء الكاميرا والقدرة على الاثارة كانت (ومازالت) تقوم عنده باكثر من المضمون، اي انه اذا تفوق الفيلم فنيا وهبط مضمونا فهو خير عنده من الفيلم الهابط فنيا والبارع في الموعظة، وهو يسمي الفنون عموما:

(مهارات) تسمت بالفن، اي ان هذه الفنون (وهي مسألة النظر الى الفن من نظرة اخلاقية) تعابير جمالية عن الزين والشين وما بينهما، ويشترك الشعر (على هذه الحال) بنصيب اكبر من نصيب النثر في الصفة الجمالية اذ يرى مسعود (ان الشعر مقام بين الفن المحض والادب..) وله شرح او قول في الكردية والعربية منشور باحد كتبه يذهب الى: (ان الشكل يجب ان يكون نمو المضمون نحو الخارج..) وهذا قمة التعادل بينهما.. على انه لم تكن الافلام العراقية قد وجدت بعد لينسحب كلامه عن الفيلم على الانتاج العراقي في ذلك الوقت، وربما صح القول اوربما انا مع مسعود، بان الروائع في الافلام كانت اكثر عددا منها في هذه الايام التي طغت فيها الصفة التجارية عموما، ذلك ان مقياس الروعة نسبي فلكل زمان مقياسه، ولاشك ان مسعودا كان يرى (انئذ) ان القصة المصورة لها شأنها في زوايا فكره، وكفاها انها او ان بعضا منها كان يشغله اياما بعد رؤيته الفيلم، فهي من مكونات عالمه الادبي والثقافي في تلك الحقبة، وهي تبعا لذلك جزء من معقولاته !

وفي حياة الكلية لم يشارك بالكتابة المنشورة، وقصارى كتاباته هي اجوبة الاسئلة التي تأتي في الامتحان، وكان في المناقشات الكلامية او اثناء الامتحان الشفوي يتكلم بطلاقة، وقد ساعدته هذه المواقف في تعويد لسانه على اخراج ما بضميره منسقا مهندسا مقبولا في السمع، وافادته تلك التجارب الصغيرة شبه المستمرة بعد ثماني سنوات من تخرجه في كلامه بالمجلس النيابي سنة ١٩٥٣ وبعض

١٩٥٤، وكان يخجل ان يقرأ في ورق مكتوب فيخطب مرتجلا بلغة هي غير لغة بيته، وكتب روفائيل بطي وهو نائب مثله، في جريدته عن لغة مسعود المتميزة وعن لسانه المتميز، «واضاف اشياء اخرى يجامله بها، بل كان صادقا في ذلك..

في السدارة الفيصلية !

ثلاثة اسئلة في اطروحة الانسان !

١ ـ الخلود:

(س) قل لي: هل تخلد كتاباتك بعد رحيلك من هذه الدنيا..؟

(ج) قال: فالراجح انها ستبقى ان لم يكن لشئ فلانها لاتقل عن كتابات كثيرة بقيت عبر الزمن وليس فيها شئ يذكر.. وظني ان الايام ستصدق نظراتي وآرائي فاني وجدت كثيرا منها صدقتها الايام في حياتي، ولابدع في ذلك فان خلود بعض الناس لم يكن لفرط عظمتهم ولكن بسبب متابعة الناس لهم لاسباب مختلفة بعضها تضليلي وبعضها راجع الى التوافق بين بساطة ماكتبوا وسطحية الناس في تصديقهم لها.. والكلام المعسول اكثر دواما في الاخلاد واكثر خلودا في الزمان !

٢ ـ الارادة:

(س) وقد تلح على مسالة الارادة، فما الارادة..؟

(ج) انها توجه العزم نحو غاية في حدود الاستطاعة. ولِغيري ان يجد لها تعريفاً آخر. فاذا خرجت الغاية عن حد الاستطاعة كانت الارادة ضربا من الهوس او الاختلال النفسي او العقلي في صورة من صوره !

٣ ـ الحدية:

(س) واراك شديدا في آرائك ..؟

(ج) لااشتد الا في الاشياء التي تشتد مع الناس. وبعض الشدة مردها الى تركيز التعبير ودقة الاصابة في موضع العلة. وما الخطورة في الشدة هذه اذا قيست الى شدة اخرى تمارس فتهلك.. اذا كان لشدتي ان تثمر ماوجدت ظلما او دجلا او افتئاتا ..!

مسعود في اواسط الخمسينات

شخصيات في ميزان مسعود محمد !

وضعت في ميزانه خمس شخصيات عراقية رحلوا عنا، فهل قال ميزانه عدلا ؟ :

■ جعفر ابو التمن

اعرفه من اخباره لامن اثاره ورأيي فيه انه كان انسانا على خلق نبيل، مستقيما في تصرفه وفيا لما يعتقد، برا باصدقائه، نزيها محبا للخير: كانت اهدافه اكبر من امكاناته وامكانات الواقع وكان علمه بالاقتصاد، كما اتصور، دون نزاهته في معاملاته، وحبه للديمقراطية اكبر من درايته بوسائل تحقيقها يخيل لي انه كان على شيٍ من التفاؤل المستند الى طيبة القلب ظهرت اثاره في سلوكه السياسي.

■ كامل الجادرجي

حكمي عليه اصعب لوجود معرفة بيننا محفوفة بالثقة ولكن غير عميقة. عرفته ثابتا على رأيه وربما تمسك به من منطق الزعامة السياسية باكثر مما تسيغه بعض الاحوال. رأيه في نفسه من حيث النظافة والاستقامة كان خليقا ان يضيع عليه، ومن خلاله على حزبه، فرصا متاحة. يقف مواقف حدية فيها كل الصلابة ولكن فيها التزمت ايضا. ماافلت فرصة لنقد الحكومة بقوة واصرار وذلك نتاج منتظر من صفاته المذكورة. اعتقد ان مشاركته في الحكم كانت تفيد العراق وهذا شيٌ كبير لاقوى على منح ماهو اكثر منه.

■ فيصل الاول

من عظماء العرب والشرق في هذا القرن حاول باخلاص ان يقدم

للناس شيئا وفي سبيل ذلك تحمل كثيرا مما لايسروان كان التاج ثمنا غير قليل لقاء ذلك. كانت معادلته صعبة للغاية يواجه بها المستحيل في احيان غير قليلة محنته الكبرى في قصر الباع عن تحقيق مايروم رغم ان الذي حققه لم يكن هينا او قليلا سواء في الصعيد السياسي العربي او في صعيد احترام الذات، لم يكافأ في عقبه بما يستحق.

■ محمد مهدي كبة

سياسي مستقيم وصلب ذو طابع محافظ يعيش بعواطفه وقناعاته في النصف الاول من القرن العشرين ولم يجد من تجربته مايخطئه او يحببه في نصفه الثاني. لم اكن قريباً اليه لاعرف مدى اتساع افاقه. شيٌ مامن خلائقه حال بينه وبين الانخراط في المسلك المؤدي الى المناصب الدائمة ومال به الى معارضة ماهو قائم، استمرمعه بعد الثورة حتى وفاته. يمكن اعتباره من الوزن الذي يثقل كثيرا على قدرة الكفوف السياسية المعتادة عندنا في طاقة الحمل.

■ يونس السبعاوي

المروي عنه يثبت صدقه لمبادئه وجرأته في مواقفه. والذي شاع من طلبه الى زملائه في ثورة مايس بعدم مغادرة العراق شيٌ خليق به وهو خليق بكل انسان يدعو الى الامور الخطيرة التي فيها هلاك الناس فاذا اشعل احد الناس نارا مقدسة وجب ان يحترق فيها مع الناس لاسيما اذا كان لم يأخذ رأيهم في اشعالها وليس لي ان احكم بالظن على ماكان خليقا ان يصدر منه فيما لو دام حاكما فالسياسي الذي لم يخلط السياسة بروح الفن. باللمسة الرفيقة، قد يتمادى مع جرأته وعنفوان تصوراته ويحمل عباد الله على مايكرهون..

موالاة الرحلة الى الاكتهال الناضج

منطقه

ومن اسرته، ومن كلية الحقوق التي تخرج فيها سنة ١٩٤٥، ومن هذه الحياة التي لم يضطرب فيها فكره او ادلته العقلية، ومن هذه المحاماة التي القته في عباب المشاكل الاجتماعية، من هذه الامزجة التي تفاعلت فيه من بيئات مختلفة، تهيأ له منطق كلامي متدفق في حججه، ومتدفق في اساليب الوصول الى «الحقيقة» بلا تراجع، فهو لم يتراجع اذا كان منطقه حقا، وبلا التواء، فهو لايبرر غاياته من اجل وسيلة ما، وقد اخضع كل انتاجه العقلي والادبي الى منطق خاص به، يدافع عنه في السر والعلن، وقد عرفه الخصوم بانه منطق مسعود، وعرفه اصدقاؤه بانه منطق المثالية لايعرف فيه زمن او قانون وضعي او «مجاملة» اجتماعية، لان مسعودا اراد ان يكون «واحدا» في هذه الحياة التي صيغت فيها عواطفه الانسانية !

النائب المعارض

ولسنوات كان يمارس القانون في هذا المنطق لا كما درسه في الكلية وانما ادخل مسعود نفسه في هذا القانون، فتصرف به كما يتصرف الشاعر بقصيدته، وانتصر للمظلوم، في حق له، وانتصر للقوي، في حق له ايضا، وكأنه كان ينتصر لموازين عقله في مجتمع هو يعرف كيف تطبق فيه موازين العدل، وما اطل عام ١٩٥٣ حتى رفعته جماهير كويسنجق الى المجلس النيابي، نائبا وطنيا يشهر منطقه كما يشهر المحارب سيفه في جماعة ظالمة، وفي مايخصه كانت تجربة النيابة

ناجحة من كل وجه، وبالمقدار الممكن لاية تجربة مماثلة له، فقد لمس اهتمام الصحافة والشارع بكلماته وكتاباته، وشهد بعينه وسمع بأذنه صراحة اهتمام الحكومة نفسها بمواقفه وكانت قمة هذه الجهة كلام نوري السعيد نفسه في مقابلته له باحد ايام اوائل صيف ١٩٥٣

كانت مواقفه وخطبه موزعة على المسائل العامة من جهة وعلى المسائل الكردية من جهة ثانية وعلى شؤون منطقته من جهة ثالثة، وما قد يكون مختفيا من هذه المواقف في ضبوط المجلس فأنه كان مبحوثا ومطروقا باسهاب في المراجعات الشخصية ذات الصفة النيابية، ومن المسائل المهمة ذات المساس بشؤون منطقته التي حازت اهتمامه واهتمام الناس من خلال مواقفه ثلاث بارزة: احداها تدور حول الدفاع عن الثقافة الكردية وبناء اجهزة خاصة بها باعتبارها حقا قوميا للشعب الكردي، والثانية في اثارة مشكلة الفلاحين بمنطقة مخمور واربيل الذين هبوا في وجه نزع الارض منهم بسبب استعمال التركترات من قبل ملاكها، فقد طرقها مسعود بقوة في البرلمان وكتب فيها مقالا مثيرا بجريدة «الدفاع» لصاحبها صادق البصام احدث ردود فعل قوية في مختلف المجالات حتى ان الادارة المحلية في اربيل اوقفت استعمال التركترات في المنطقة بايعاز من وزير الداخلية نفسه، والثالثة تناوله لموضوع التبغ في خطاب له بالمجلس هز ادارة الانحصار اعقبه بحوالي ١٥ مقالة سياسية اقتصادية عن الموضوع نفسه نشرت في جريدة البصام وكان عبد القادر البراك يهتم شخصيا بما يكتب ويقول مسعود، ويدرأ عنه الاخطاء المطبعية، بل كان البراك الصحفي المعروف يدافع عن مسعود وينشر اراءه بأمانة وبجراة

وباخلاص !

كانت النيابة منعطفا حاسماً في مسار حياته فانه كان لايستطيع التكهن بما كان يمكن ان يكون عليه وضعه اللاحق بدون نيابة، فالحاكمية «كان قاضيا لفترة».. كانت وظيفة محترمة ومريحة فيها مجال تحقيق العدل الجزئي واسع ولكنها لاتفضي الى نشاطه في الميادين السياسية والاجتماعية ذات الاطار القطري او العالمي.. ومن غرائب الاتفاق انه دعي الى اجتماع للسلام بالهند سنة ١٩٥٥ وهو مسجون في سجن اربيل طول المدة من ١٩٥٥/٢/٢٦ حتى ١٩٥٥/٣/١٢ ونيابته الثانية التي كانت في الدورة ١٤ النيابية لم تستمر غير ثمانية ايام خلالها عقد مجلس السلم الاول ١٩٥٤، ودعي اليه وشارك فيه وتراكمت بسببه اسباب الاتهام له من الدوائر الامنية، مع انه لم يكن قط مؤمنا «بحركة السلم هذه» لانها تدعو الى سلم معين ذي نتائج محددة تربح فيها جهة معينة بالذات، هذا مع العلم بانه اول المؤمنين بالسلام والديمقراطية وحق الشعوب غير المحدود في المعيشة الامينة السليمة المرفهة بلا تخريجات فلسفية قد تجعل الحنظل عسلا..!

امور خطيرة بحثت في مناقشات اللجنة المالية للميزانية العامة صيف ١٩٥٣ التي كان مسعود من اعضائها، وكاد الامر يؤول الى احتداد بينه وبين احد الوزراء من الحزب الحاكم في العهد الملكي، ولكن وقوف احمد مختار بابان «وكان وزيرا غير حزبي» الى جانبه حال دون ذلك.. وقد تحفز كل من ذيبان الغبان وعبد الرزاق الشيخلي

للدخول مع الوزير الذي عارض مسعودا في ماهو اكثر من محاججة وقد ردوه في كلامهم.. وغير هذا كثير لو دققنا النظر في مجلد الدورة الانتخابية الثالثة عشرة لمجلس النواب لسنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣. وكان مسعود محمد يتشاور مع النائب الوطني الشيخ محمد رضا الشبيبي في توجيه استيضاحات حول سياسة الحكومة، في هذه السياسة التي تضر مصالح الشعب، وهذا نموذج من الاستيضاحات:

معالي رئيس المجلس النيابي المحترم:

نرجو توجيه الاستيضاح الاتي الى وزير المعارف للاجابة عنه شفهيا في المجلس وذلك طبقاً للمادة «٥٤» من القانون الاساسي والمادة «١٠٥» من النظام الداخلي ولكم مزيد الاحترام:

اتخذت السلطات الحكومية في هذه الايام اجراءات بالنسبة الى فريق من الطلاب والطالبات ومن ذلك تعطيل الدراسة في احدى المدارس وتوقيف جمع من الطلاب او طردهم او سوقهم الى المجلس العرفي والحكم عليهم الى غير ذلك مما اقلق جمهرة من الناس واشغل جانبا من الرأي العام لذلك نرجو ان توضح السلطات المسؤولة للمجلس الاسباب التي حدت بها الى القيام بمثل هذه الاجراءات او انتهاج هذه السياسة ايضاحا شافيا ولكم مزيد الاحترام..

اما اسئلة مسعود في هذا المجلس النيابي «حيث يوجهها الى الوزراء او المسؤولين عن النظام» فطالما لمحنا فيها طابع السخرية او التحريض على السخرية بايراده الامثلة الشعبية او استعماله

الادوات الفلولكلورية في الغمز واللمز والتنديد والتقريع والزجر والتشهير، وكل شئ يكشف به الباطل. يقول في رده على وزير المالية علي ممتاز: «سادتي كلمة بسيطة وهي اني اتذكر النقاش الذي جرى بين نواب المعارضة ورجال الحكومة حول اقتراح البعض بتخفيض الرسوم ترفيها عن الشعب وكنا نتوقع ان تأتي الحكومة بشئ يوفر للشعب بعض المتاعب ولكن هذا القانون نص على استثناء مواد ثانوية فالمواد الضرورية جدا هي القمح والشعير والرز وشمل الشعير نوع من التخفيض واما القمح والرز فقد اهمل ذكرهما وانا اعتقد بان وعود الحكومة تذكرني بالمثل القائل ان الجبل تمخض فولد فأرا)..

وغير هذا السؤال اسئلة كثيرة قرأتها لمسعود في ماتخص الوزراء ورؤساء الوزراء حتى تتصل بأعلى المقامات. بلا تلكؤ، بلا خضخضة في اللسان، بلا افتعال في المواقف وانما هذا هو رأسه، يفكر للشعب، معتمدا قوة هائلة من الايمان، وبقوة هائلة اخرى من الثقة بدوره كنائب اولا فاز بالمنافسة لا بالتزكية، وبدوره كمثقف في مجتمع العالم الثالث، ثم بدوره ككاتب وهو المهم في رأيي اذ لابد للكاتب من ان يتصدر الجماعة في التنبيه على الظلم ايا كان شكل هذا الظلم، وفي اشهر عدة مالت اليه الافئدة في المجلس النيابي، عرف فيه الشبيبي الجرأة الخالصة والضمير الخالص والشبيبي يومها وثيقة شاهدة لتزكية الضمائر الخالصة.

الوزير

وجاء وزيرا للدولة في ١٩٦٤/٦/١٧، وكانت مشاركته محنة

سياسية لم يستطع دفعها لانه اذا رفضها كان معناه ان يطلب من كل الاكراد رفضها فلماذا اذاً وقع وثيقة السلام وكان من اقوى الداعين

اليه واشدهم حماسة واكثرهم ايمانا به.. فقضى احد عشر شهراً قلقا، وانتهى «السلام الهش» بالعودة الى القتال، وتعذر بقاؤه في كويسنجق فأنتقل الى بغداد يوم ١٤/٥/١٩٦٥ وربما كانت هذه الحسنة الوحيدة في تجربة الوزارة وهي ضارة نفعت، فأنها كانت مثل فرصة النيابة بابا اخر للتوسع في دنيا الكتابة نهاية الامر !

وفي ختام ١٩٦٦ عين في مجلس الخدمة، وكان هذا المجلس لايختلف كثيرا عن المحكمة من حيث ضيق مجال الفاعلية، وكان مسعود يسميه اوقد وجد فيه «مقبرة القابليات» على ان تربيته في النيابة وفترة الوزارة التي ناقش فيها الامور على اعلى مستوى بالدولة اعطته زخما كان يدفعه الى مسالك لايطرقها عضو المجلس فقد حدث كثيرا انه اتصل بصفته الشخصية في مسائل ذات جوانب متميزة بالوزارات بما فيها رئيس الوزارة وبالقصر الجمهوري، وماخابت مساعيه تلك في تحقيق الغاية منها مرة واحدة، وتوزعت فترة عضويته بمجلس الخدمة على سنوات لما قبل تموز ١٩٦٨ ومدة اطول لما بعدها وفي كلها جميعا تمسك بوجهة نظره في ماهو صواب وتخطى من اجله حواجز درجات المراجع !

وكان انتقاله الى المجمع العلمي سنة ١٩٧١ هو بمثابة وقوع الشئ في موضعه المناسب له فأنه لم يكن ينفك من طبائعه بسبب داعي

الوظيفة حتى انه كتب في سنة ١٩٧٠ وهو لم يزل عضوا في مجلس الخدمة ثلاث مقالات في احدى الجرائد بتوقيع «واقعي» احدثت صداها بين المثقفين وقد عرفوه من اسلوبه فجاءه منهم افاضل الى مجلس الخدمة مهنئين وشاكرين ومستزيدين، وانتقل الى المجمع العلمي الكردي حيث انفتح في وجهه مجال الكتابة بنمط يختلف عن كتابة الصحف، ودخل في هذا المجمع في جدل فكري ولغوي مع فئات المثقفين الاكراد وكان مخالفا لما هو مقبول ومعتبر مفروغا منه بين عامة المثقفين من الكرد وغير الكرد وغير العرب في قضايا فكرية تؤول الى السياسة والاقتصاد وغيرها..

اكتشافاته

على اني اسمي مسعودا «ظاهرة كتابية» في جيل المثقفين الاكراد في حقبة ماضية او في هذه الحقبة ان كنا منصفين الى ظواهر الابداع العراقي.

فهذه الظاهرة الكتابية دلتنا على مالايكتشف في ثقافة الاكراد، وعلى ماهو مدفون في اسرار الشعب الكردي العريق في تاريخه، وعلى تاريخ نصفه كان يضلله مستشرقون او اوربيون غايتهم الغاء الشخصية الكردية تمهيدا لالغاء الشخصية العراقية، وتمهيدا ايضا لالغاء ان العراق واحد، وتصدى لهم مسعود بفهمه للجغرافية التاريخية، بفهمه ان التوارث الحضاري بين العرب والاكراد لابد ان يكون او يصبح توارثا قانونيا لتطوير الاصالة العراقية، وبذلك فأنه

كان منبرا عاليا يحفظ مجد الاكراد ويبشر بمجد الاكراد ويرسم لنا «فهما واقعيا» لمجد الاكراد !

وعبر انجازاته الفكرية في ابحاثه وكتبه ومحاضراته وتساؤلاته كنت اكتشف شيئاً لم يهتد اليه قبله احد، ومن ذلك:

■ انه اكتشف ان روح الشعور القومي برزت بين الاكراد على عهد امارة عبد الرحمن باشا البابانى «١١٩٨ ـ هـ ١٢٢٨ هـ» وقد تفطن الى ذلك من نص الوقفية التي كتبها كاتب عبد الرحمن في نهاية كتاب صحيح البخاري الموقوف من عبد الرحمن باشا على جد مسعود الاكبر عبد الرحمن الجلي، وورد فيها انه موقوف على فلان فأولاده فان لم يوجدوا فعلى اولاد اخيه، فعلى العلماء العاملين بأرض الكرد، فكان ورود كلمة «ارض الكرد» في وقف اجل كتاب ديني امرا استرعى نظر مسعود فقلب تاريخ كتابته «١٢١١ هـ» الى الميلادية فتبين انها تقع بعد ست او سبع سنين من قيام الثورة الفرنسية، فكان واضحا ان موجيات الثورة الفرنسية تكون قد انتشرت خلال هذه الفترة فأستوعبها عبد الرحمن باشا، وعلم مسعود من هذا، ولاول مرة، ان ظهور النظم الكردي في منطقة السليمانية على عهد عبد الرحمن باشا امر منتظر بعد بزوغ الفكرة القومية في ذهن حاكم الامارة..

وكان مسعود يدعم نظريته هذه بدراسات مستفيضة في المحيط الحضاري الذي نشأ فيه الاكراد في قرون قبل الميلاد، مستعينا بعلم اللغات وبعلم الاقتصاد وبعلم الاقتصاد السياسي، وكان منظرا في

هذه الدراسات، ليس فيه شيٌ من التخيل القومي وليس فيه ذلك.. التعصب القومي، وكان يهدف لغاية واحدة اذ انه اراد ان يقول (لماذا انا كردي) حتى يجيب بنفسه: (انا عراقي) وبمعنى استدلالي اراد ان يطرح على القارئ فلسفة بسيطة في السياسة اساسها: (بدون الكردية لايمكن ان يكون عراقيا) وغايتها: (وبدون العراقية لايمكن ان يكون كرديا)، واستخدم السياسة بلغة الوجدان والتاريخ، بلغة التوارث والفكر بلغة المنطق، ولو فهمناه انصافا لقلنا ان مسعودا كان مشرعا، يحول تاريخ الكرد الى جملة قوانين تستلهم الاحداث الصغيرة والكبيرة التي وقعت في التاريخ البعيد استلهاما جدليا حيا، وفي ضوء هذه القوانين يمكننا ان نستوعب الحركة القومية الكردية !

واكتشف ان اندثار الروابط القبلية بين سكان القرى المرتبطة بكويسنجق هو من نتائج قدم الحضارة البرجوازية لمدينة كويسنجق نفسها وتغلغلها او انتشار تأثيرها بتنويع التعامل وتكثير وجوه الكسب وتوفير المأمن (نسبيا) بين سكان القرى فوهنت روابط الفلاح برئيس القبيلة وخف شعوره بتوقف سلامته ودوام معيشته على وجود رئيس العشيرة، بل ان مالك الارض اصبح شخصا غير مرغوب فيه بعد انتفاء حاجة الفلاح اليه (والكلام هنا في مجمل الموضوع وليس في تفصيله) فقد يحصل انقياد الفلاح في هذه الحالة لرئيس العشيرة وقد يتمرد فرد العشيرة على رئيسها في احوال اخرى فالقاعدة لاتختل بالشواذ !

ينبوعه: اللغة

ولعله الاول من بين علماء الاكراد من اهتدى الى قوانين جديدة في

اللغة الكردية وفي اصوات هذه اللغة وفي صرفها ونحوها، فقد وجدت في بيته خرائط عديدة تبحث في صناعة اللغة، واظن ان الامر كان هواية فيه منذ طفولته، واظن ان اول من اكتشف هذه (الهواية العلمية) فيه هم اساتذته ومنهم: ابوه.. الذي قال له يوما: بني فيك ينبوع اللغة فاجتهد وابحث فيه ستجد اللؤلؤ قريبا..

واكتشف في ميدان اللغة الكردية امورا منها: افعال معروفة لها احوال صرفية، وقد تكون نحوية، خاصة بها فالفعل اللازم من هذه الافعال يفعل في تلك الاحوال عمل الفعل المتعدي، والمتعدي منها الى مفعول واحد يتعدى الى مفعولين فوجدت في كلها حركة حقيقية او اعتبارية وهي تتصرف على النحو المذكور فاذا جردت من هذا التصرف عادت أفعالاً اعتيادية فسماها مسعود بالافعال الانتقالية، ومنها افعال معدودة تتصرف في احوال معينة بحركة معاكسة فيقع الفاعل (وهو ضمير متصل) موقع المفعول به في تلك الاحوال فسماها افعالا انتقالية معاكسة..

واقترح، على غير جدوى، تبديل مصطلح (الضمير المتصل) في الكردية بالضمير النشط لانه قوام الكلام الكردي ولاتنهض فيه جملة واحدة بدونه (الا في حالة يكون فيها الفعل اللازم مسندا الى المفرد الغائب او فعل الأمر مسنداً الى المفرد المخاطب) واقترح من باب التداعي ان يسمّى الضمير المنفصل بالضمير المستقر لانه يعمل عمل الاسم، ويقول مسعود في ذلك: (الضمير المتصل داينمو الكلام الكردي، ولكن الذهن الكردي يتشبث بالشائع الخاطئ لاسيما اذا كان اساتذة في روسيا او في مكان اخر كانوا قد مروا على الموضوع مر

الكرام فتقبلوه.. قلت انه لا فرق بين تسمية هذه الضمائر بالمتصلة وبين ان تصف الانسان بانه مخلوق له ارجل او يحمل اسما.. حتى تسمية الضمير في الكردية بالـ (راناو) كانت خطأ طفوليا يبعث على الاسى وكذلك مايصر عليه كثير من اللغويين الاكراد بتسمية الفعل (فرمان) ينطوي على ذهول غريب..) وقد نبه مسعود الاذهان اللغوية الى ذلك فحصل ماكان يتوقعه من رد الفعل برفض الصحيح وعبادة الخطأ !

واكتشف وجود اللاصقة الداخلية في الكلمة الكردية، وكان المظنون في الثقافة الكردية ان اللواصق اما سابقة على اللفظ واما لاحقة له، واكتشف خطأ كانوا يذهبون اليه من اعتبار بعض الزيادات الصرفية في صيغ معينة للافعال على انها ضمائر واثبت بما لايرد من الحجج انها لايمكن ان تكون ضمائر.. ولكن الدوام على النغمة القديمة هو كالدوام على عبادة الصنم.. ثم اكتشف في الاصوات الكردية وتركيب الكلمة الكردية امورا مهمة منها ان مايمسى بالكسرة المختلسة في العربية هي ضرورات صوتية لتمكين المتكلم من ربط حرف معين بما بعده فاذا زالت الضرورة زالت الكسرة المختلسة، وشرح في هذا الميدان ما هو كشف جديد غير مسبوق اليه وهو ان الحرف (والصحيح هو الصوت فالحرف شكل الصوت اللغوي) في صدد الكسرة المختلسة وما يتبع ذلك في صنوف التحاور بين الاصوات اللغوية الكردية ينقسم اقساما اربعة: فهناك اصوات لاتحتمل الكسرة المختلسة اذا وقع احدها ساكنا قبل الاخر فالنون الساكنة قبل التاء وقبل الدال وقبل الكاف الفارسية وقبل

الجيم (الا في كلمة واحدة هي البنج) تأتي بسكون تام دون كسرة مختلسة، وسمى ذلك (بالتجانس التام) واصوات تحتمل السكون التام وتحتمل الكسرة المختلسة حسب الذوق اوحسب الاقتضاء مثل النون قبل الكاف والراء قبل الجيم فسماه (التجانس) واصوات لاتأتي الا اذا لحقتها كسرة مختلسة مثل اللام قبل الميم والميم قبل اللام، الخ.. وسماه (عدم تجانس) واصوات لاتأتي قبل اصوات لا مع كسرة مختلسة ولا بغيرها كالكاف والقاف والفاء والباء وسماه (تضادا) فانكشف له بعد هذه الابتكارات السبب في كيفية تتابع الحروف على النحو الذي تتابعت به وموضع الكسرة المختلسة في كثير من الكلمات الكردية، وكان معلوما ان الحرف المصدري هو في الكردية (ن) يأتي قبله من الحروف الصامتة اما الدال او التاء فوجد مسعود بالضوء المسلط على الكلمة الكردية من مسألة التجانس وعدم التجانس ان الحرف الذي يتقدم هذين الحرفين بالاضافة الى الالف والياء والواو هو احد الحروف التي لها تجانس تام مع الدال او التاء حسب وقوع اى منها قبل نون المصدر.

واكتشف كذلك في الاصوات اللغوية ان بعضها لاينشأ من الهواء الخارج من الرئتين فاذا استطاع احدنا ان يمنع خروج هواء الرئة فانه يتمكن من لفظ الفاء والشاء وحروف اخرى باخراج الهواء الموجود في الفم ولكن في حالة السكون، لان تحريكها يقتضي النبرة والنبرة تخرج من الوترين، بل انه وجد ان صوت الفاء يمكن احداثه بادخال الهواء في الفم وتهيئة الشفة والاسنان بالوضع الذي يقتضيه

نطق الفاء، كما انه رأى ان حرف الخاء ليس من حروف الحلق فهو يأتي بعد القاف من حيث الدخول في الحلق، كما انه وجد مقاييس صوتية جديدة للهمزة وغير الهمزة بعد دراسة مضنية في (الاوتار الصوتية) واستند في ذلك الى مقاييس العلم البحت في الصوت وحركة ذبذباته !

وطبق هذا العلم في اللغة بوسيلة المقارنة بين الانسان والحيوان، بعد ان وجد ان نشوء اللغة في الانسان سواء اخذنا بنظرية التطور او قلنا بنظرية الخلق الفوري حصيلة وجود او نشوء العقل في الانسان، فالحيوانات تخرج اصواتا على حسب غرائزها وبمقتضى ماتتحرك اليه من مطاليب فتزوم عند المسكنة وتهر في الغضب وهكذا فهو يربط بين العقل والنطق باعتبار النطق ترجمانا للعقل كما كانت اصوات البهائم ترجمان الغريزة، وطبقا لهذا التصور لنشوء اللغة اي باعتبارها اداة التعبير عن قوة عاقلة امكن تفسير وجود قواعد ودساتير مطردة في اللغة !

عقلان

واكثر غاياته في تلك الدراسات اللغوية كان العقل، اذ انه اراد ان يتعرف على مصدر الخير والشر في هذا العقل، لماذا عقل شرير ولماذا عقل خير، وقد عبر عن ذلك منذ اكثر من ثلث قرن بما يلي: (ليس قصارى العقل ان يمتنع عن تفسير الاشياء التي لايفهمها ولكنه يفسرها تفسيرات خاطئة) فاذا عجز عن تفسير الزلزال تصور ثورا

يحمل الارض بين قرنه فاذا هز رأسه اهتزت الارض، وتوضحت ملامح هذه المقولة اكثر فاكثر حتى انكشف لمسعود محمد وجود وجهين للعقل: واحد نير واع ومصيب يأتي بالبدائع ويمهد للسعادة ويكشف الكشوف.. ووجه معتم هو الجهل والخرافة وما اليهما من صور الضلالة والاختناق بالاخطاء، ثم التوصل الى الفهم النظري التالي:

(ان العقل الذي يعلم هو نفسه الذي يجهل..
والعقل الذي يبني هو نفسه الذي يهدم..)
اي لاثنائية في المسألة

وقد وضع التاريخ في هذا الفهم النظري، ووجد ان التاريخ (وليس التاريخ الا البشر يتفاعل مع الوجود) كان ولم يزل محكوما بهذين العاملين، وتأتي من ذلك ان اقترح تعديل الصيغة المعتادة التي تقول ان المصالح تقود الانسان الى صيغة اخرى تقول ان البشر يفعل ما يعتقد انه مصلحة وقد لاتكون مصلحة وانما مهلكة. ومن ملاحظة (العقل النير والعقل المعتم) خرج الجزءان الاول والثاني من كتاب مسعود محمد (الانسان وما حوله) في اكثر من ٣٥٠ صفحة ويحتمل جزءا ثالثا ورابعا وعاشرا لانه لايوجد شيء من متعلقات البشر منذ خلق والى نهاية وجوده يخرج عن نطاق تصرفه الواعي والضال في الجماعة او في الفرد..

هذا الجذر الاساسي لتفكيره اثمر في مابعد لمحات واشارات وتصريحات في كتاباته تجمعت امثالها بكثرة في كتابه (الى امير حسن

بور حيثما يكون) وتبلورت الفكرة بوضوح أوفى رسالته (التفسير البشري للتاريخ) وملخص تفكيره في هذا، انه صحيح ان البشر ملحوظ من عامة الكتابات ولكن دوره الحاسم والاول والاخير يضيع ويضمحل اثناء استعراض التاريخ والاجتماع برد اسبابه الى مادية ودينية ومزاجية وما اليها مع نسيان الحقيقة الصارخة في ان هذه الحيثيات كلها بشرية ومصطبغة بالصبغة البشرية التي يصطبغ بها الناس الذين يمارسونها او يحدثونها، فان اغلب مايسمى بالسبب المادي (ومسعود) له اجتهاد في ماتذهب اليه الفلسفات المادية قائم على معارضتها) كالنفط والمنتجات واسباب المواصلات ماهو الا صورة متجسدة ملموسة لعلم البشر وتكنيكه، فالطيارة ليست مادة كالحجر الملقى في الشارع والهواء الساري في الطبيعة، ومن سماها مادة وأقامها سببا منفصلا عن الانسان فقد اجهز على كل العلوم المتصلة بالطيران وكل الصناعات المؤدية اليه وكل الروابط والقوانين والمؤسسات في البلد الواحد وبين البلدان المختلفة التي تسهل التعامل مع الطائرة في بيع وشراء ونقل ثم هو يجهز بالتتابع على صناعة النفط.. ويحذف في (مادية الطائرة) قائد الطائرة ومدارس الطيران، وان هذه الصفة (مادية الطائرة) تقطع صلتها بالانسان وتجعلها هدية من المريخ او الزهرة الى الارض بكل متعلقاتها !

قال احد الافاضل دفاعا عن التفسير المادي المصلحي للاشياء وكان يزور مسعوداً خصيصا للتعليق على ارائه في التفسير البشري، قال من باب التمثيل على ما يعتقد، ان الاسرة الوجيهة التي ينتمي

اليها كانت حصرت الزواج بين افراد العائلة احتفاظا بثروتها من ان تتجزأ وتتبعثر فالسبب في هذا اقتصادي محض.. وناقش مسعود صديقه الى غير نتيجة. وعلى مافهمت من وقائع النقاش فان رأي مسعود كان يدور في اولا: ان اسراً كثيرة لاتفعل ذلك فالسبب الاقتصادي معطل في حالة هؤلاء من ناحية الزواج، وثانيا: ان الزواج نفسه بعاداته وقوانينه وطلاقه ومواريثه كله بشري فالحيوانات لاتذهب للمأذون ولا تطلق ولاتتوارث ولاترقص ولاتجهز جهازا ولا ولا.. ومن الزواج مايجلب للزوج مالا في دولة العروسة فلا خسارة فيه على الاسرة.. ورؤيته في ذلك كله، ان الاقتصاد نفسه وتصور المصلحة والضرر في عمل من الاعمال كله بشري فلا اقتصاد بين القرود مثلا، وفي رأي قديم لمسعود يقول، ان الاقتصاد شيٌ بشري متطور، ويأتي بمثل على ذلك بان الهنود الحمر في اميركا لم يكونوا يعرفون قيمة الالماس يوم كشف كولمبوس اميركا.. والنفط تحت البحار لا يعتبر مادة اقتصادية قبل تقدم العلوم والتكنولوجيا المتصلة بصناعة النفط، وكان قد قال في احد مواضع (التفسير البشري) ان القلم الذي يكتب به هو من ناحية ارتباط وجوده بارادة البشر اكثر بشرية من الاصابع التي تمسك به، وكأنه اراد ان يقول ان الاصابع جاءت جاهزة بلا ارادة من الانسان !

الاسطورة

وفي موضوع الاسطورة قرأ اراء كثيرة لعلماء مفكرين تدوي

اسماؤهم فلم يقنعه احد منهم، واكتشف، بل انتهى في تعليلها الى ان مبعثها الاصلي هو ما ذهب اليه من (تفسير الاشياء تفسيرات خاطئة) فاذا قالوا (ان الخوف من المجهول او الاسباب المجهولة للظواهر) اساس الاسطورة فان هذا الخوف في نظرية مسعود موجود عند القط والقرد ولكنه لايلد اسطورة، وتعليل مسعود قائم على انه لكي يكونّ الخوف سببا للاسطورة لابد من وجود عقل يذهب في تفسير مبعث الخوف الى قوة مرهوبة جديرة بالعبادة والتقديس، ويورد مثلا: (فالصاعقة لم تزل مبعث الخوف عند البشر ولكن بعد معرفة سببها من السالبة والموجبة لقوة الكهرباء لم يعد الشخص العالم بسببها يرهبها رهبة التقديس) ومعلوم ان كل مصادر الرهبة تكون موضع تقديس اذا كانت مجهولة ولكن السيف لايعبد لانه مفهوم مسطح مفروغ منه رغم انه موضع الخوف وكذا الحال في القنبلة الذرية فهي اخوف الف مرة ومليون مرة. من الصاعقة ولكنها لم تقدس لانها مفهومة، وهكذا رأى مسعود ان الخوف حالة مرتبطة بالعقل وليس منبعثا من خارج العقل، وكم تمنيت على مسعود لو اصدر ابحاثه في (علم الاسطورة) في كتاب فهنا في هذه الابحاث تتجلى امتدادات عقله في الفلسفة والمنطق والعلم والمختبر وادب المقارنة !.. وكم تمنيت عليه ايضا لو طبع هذه الآراء التي يقولها في الحضارة وفي الزمان والمكان، فهي اراء لو نشرت لهيأت له مكانا كبيرا بين علماء العربية ولانجب تلامذة واسس مدرسة في اسلوب الجدل !

اما في الفكر والسياسة والادب فالاعتراف بخطورة كتاباته لم

يخرج في اغلبه الاعم عن الكلام والحفاوة والاقبال على مايكتب وبعض الرسائل المشجعة بل المبالغة في الاطراء، اما النقد عليه فقد كان على مدى ١٤ سنة (من ١٩٧٢ حتى ١٩٨٦) ذا مقدار ملحوظ، وقد انقده منتقدون في بعض الاحوال لايدركون مايقول ولايغوصون الى اعماق مايقولون، وفيما عدا حالة او حالتين سكت عن جميع النقد الموجه اليه لعدم الجدوى من الرد، ولانه يتيح لبعضهم سانحة الملاسنة ويمنح بعضهم خطورة فوق مايستحقون، وهناك مستويات من التفكير والتصرف تنعدم لغة التخاطب بينه وبينها، اما في العربية فلقد تلقى مجاملات كثيرة ورسائل قيمة من اماثل الناس وخابره استاذ كبير في نيته الكتابة حول رسالته (التفسير البشري) وكما نوهت سابقا فانه على اثر اللقاء التلفزيوني الذي ظهر فيه منذ ثلاث سنين واجرته معه السيدة ابتسام عبد الله بدأت التلفونات تترى عليه بالتهنئة وانهالت عليه كلمات التشجيع من اغلب من صادفهم ممن رأوا اللقاء، ولكن لم تظهر كلمة واحدة مكتوبة تدل على شيء من ذلك.. جماهير من السليمانية واربيل و.. و.. طلبوا اعادة عرض اللقاء من تلفزيون كركوك ولكن هل من سميع.. فكانت مفارقة ان يستجاب لطلب اعادة عرض اغنية (مش ولابد) ولايستجاب لهذا.. في ايلول ١٩٨٦ القى كلمة بالعربية في مهرجان باربيل فقوبلت برضا وحماسة فلم تذكر في الصحافة الا ذكرا يجعلها في مؤخرة الكلمات الاخرى، هكذا شأن الدنيا، ومع هذا فهو غير آسٍ على شيء !

نداء ام منطق

وقدم حججه على اسئلتي، وكانت بيننا مناظرة:

س: ايهما اكثر اصالة: الموهبة عند الرجعي ام عند الثوري..؟

ج: الموهبة في كل المهارات ركن الاساس، وتبدأ المناقشة حول مدى اثر الصقل في الموهبة وهي في جملتها نقاش في الفراغ فالكل يصقل وينمي طلبا للتفوق ان لم يكن للكمال..

س: ولقد اعتبرك بعض الكتاب رجعيا..؟

ج: الرجعية والثورية لاتقدم ولاتؤخر كأوصاف تطلق حسب المزاج والاجدى ان يقال (راكد ومتطور) وافخر ان يسميني الضحل راكدا او رجعيا ولقد سموني بكثرة ..

س: وآخرون اعتبروك ثوريا..؟

ج: على غير انتظار مني وجدت اناسا كثيرين يتتبعون ارائي ويؤمنون بها وهي اراء تلتزم الممكنات وتحتفظ بالـ (كي) كآخر دواء..

س: انت تحب الحياة..؟

ج: احب الحياة اضعاف كراهيتي للموت فانا افضل الوجود على العدم ولااتقبل (النهاية) الا من باب الاضطرار وحبي للحياة يغريني بحب الممكنات..

س: إذن ما التشاؤم..؟

ج: لاتشاؤم في الرضا بالواقع الممكن. والتعلق بالمعتذر وانتظار المستحيل عبط وليس تفاؤلا وليس لاحد حمل الناس على المهالك طلبا لاختزال المسافة والزمان فليجرب ذلك لنفسه فقط ..

س: وكان من المفترض ان تكون شاعرا..؟

ج: في عمري الشعري خجلت من اظهار نماذجي، وبعد انقضائه ترسخت في الكتابة ..

س: ومن هم الحالمون من الكتاب ..؟

ج: الحالمون انماط يجمعهم (ولو تناقضوا) الانشغال بما هو غير واقع واسلمهم مغبة من انقطعت جذوره بالارض فحلق، واشدهم نكاية من غاص في المحال ودعا الناس اليه بضراوة..

س: وهل تفضل ان تكون سياسيا محترفا ام اديباً محترفاً ..؟

ج: احب ان التبس بظرف يمكنني من اخراج مابضميري من غير رقيب او عائق على الاطلاق.. وسمه احترافا اذا شئت او تخير له وصفا يرضيك..

س: ولماذا اكثر الكتاب يحبون المال والشهرة..؟

ج: حب الشهرة والمال هو جزء من حب الذات ومايتصل بها من ذوات، الابناء والقرابة الاقربين..

س: وهل مررت بمرحلة الخوف..؟

ج: الخوف كامن في النفوس، وداريت خوفي بالتخريجات الاخلاقية (كأداء واجب، رسالة قومية..) وبشيٍ من حسن التفهيم وبشيٍ من نضج الفكر وبشيٍ من سلامة القصد ونظافة الضمير..

س: وهل فكرت ان تكون فيلسوفاً..؟

ج: الشيخ جلال الحنفي سماني فيلسوفا في الجدل المنطقي فحدد اطار فلسفتي بنظره، اما «فيلسوف» بشكل مطلق فهو انسلاخ من

المحدودات اولا والتصدي للـ «مطلق» ثانيا ولا املك ظرفا اتفرغ فيه له..

س: اين فشلت واين نجحت ..؟

ج: انا ماالزمت نفسي بغير الافصاح عما اعتقد فلا خانة للفشل في خريطتي، والناس يخيبون او يصيبون في فهمي وهم احرار في ذلك..

س: ايهما اقوى عندك: الارادة ام الحرية..؟

ج: الحرية نعمة سابغة تشمل الكل والارادة سمة شخصية فلا وزن للشخص بلا ارادة ويكون تمتعه بالحرية المتاحة كحرية الماء في ان يتبخر او ان ينساب في الجدول بحكم الطبيعة..

س: ايهما اقوى في نفسك: المال ام الرسالة..؟

ج: ادرك خطورة المال وخطورة كل مصادر القوة ولكني لا التذ منه اذا شريته بثمن من رسالتي..

س: متى تصبح كاتبا عالميا ..

ج: اعطني ثلاث سنين في التفرغ الحر المقتدر المستريح وخذ مني (مسعود محمد) كاتبا عالميا والكلفة عليك اذا خيبتك ..

المهارة اللغوية !

عزيزي سيادة الاديب العراقي (هوشيار)

ابداك بتحية الاسلام وارفع اليك تهنئتي واعجابي لمقالك الرائع واسلوبك الممتع وحسن ادائك الفخم وعربيتك الفصحى فقد بلغت الغاية واوتيت فصل الخطاب وكنت صريحا في مقالك الذي نال اعجاب القوميين العرب، وكنت موفقا في تحليلك الموضوعي ولا احسب اخوانك الاكراد الا اكثر اعجابا فقد نفست عن مكنوناتهم واعربت عما تنطوي عليه صدورهم من امان وآمال وحسبك بان تفوز برضا كرام القوميتين وما عليك اذا اثرت حسد اعضاء اتحاد الادباء على هذه القدرة والمهارة اللغوية التي كانت طابع اسلوبك..

(جمال الدين الالوسي)
(جريدة الحرية في ١٩ تموز ١٩٦٠)

(*) هوشيار هو الاسم المستعار لمسعود محمد في تلك المرحلة، ويعني بالكردية صاحب عقل !

تناغم خيوط الاتصال بالوجود في انتاج عقلي

مكتبته

انه لم يبدأ بجمع الكتب، وانما كانت الكتب موجودة في بيته وهو طفل، ثم تجتمع من غير تقصد او تدبير وتتبعثر لقلة التدبير.. وعدا الكتب المطبوعة الموجودة في كويسنجق توجد عنده كتب غير مفهرسة او مرقمة او منظمة، هي مصفوفة او مركومة بلا نظام، لانه بلا غرفة مكتبة ولا حتى منضدة كتابة، ولا امل في امتلاك شيٍ من ذلك فالليلة القمراء تبدو من اولها !

ومما شاهدته من المقتنيات كتاب الاذكار تاريخ كتابته ٧٧٦ هـ، خطه جميل ودقيق، وكتاب صحيح البخاري، مخطوط موقوف من عبد الرحمن باشا الباباني على جده الاكبر عبد الرحمن الجلي مكتوب سنة ١٢١١ هـ، وكتاب النحو المسمى (السيوطي) طبع حجر عليه حواش كثيرة بخط الحاج قادر الكوي، وهناك بين هذه الكتب اصول بعض الرسائل لوالده بخطه، ثم هناك رسائله هو وضعت بغير تنسيق في (البوم) هي ترجمة لعلاقاته مع الشخصيات السياسية في البلد ذات النفس الوطني.. اما الهدايا من الكتب فهي على قدر احواله من اناس افاضل منهم مشهورون ومنهم من لم تتح لهم الشهرة، هدايا من مصر ومن الاردن ومن الاتحاد السوفيتي وبعض اقطار اميركا ومن فرنسا ومن لبنان وهدايا من بعض السفارات، وهو كذلك يهدي كتبه بالمثل، وفي كلا الحالين كاسب ورابح في اتاحة الفرصة لكتبه كي تقرأ، وبعض تلك الهدايا بالكردية تذهب الى ناس لايفهمون الكردية ولكن صلة صداقته تبرر ذلك وكتب في صيغة الاهداء لاحدهم: يبغم لك

بالكردية كذا وكذا..

والذين يرسلون اليه كتبهم يبجلون صفاته في صيغ الاهداء، بعضهم يصفه (بالعلامة..) وبعضهم بالشيخ الكبير والكاتب الكردي الكبير كاك مسعود محمد.. الخ.. ومن هؤلاء: حسين جميل والدكتور المرحوم احمد سوسة واحمد ريبوار والدكتور احمد عثمان ابو بكر.. وقد اعتاد ان يكرر اهداءاته الى بعض المثقفين وهم الدكتور كمال مظهر احمد وشكور مصطفى وابن عم مسعود عبد المجيد نور الدين ومحمد ملا كريم وعبد الرحمن حاجي معروف واخرون لايحصون..!

ورغم ان كتبه لاتشير الى كثرة في اعدادها كما هو الحال في مكتبات اخرى، فان في عقل مسعود محمد تسكن مكتبة ساحرة من العلوم مربوطة اوائلها باواخرها، كانت تستمد مصادرها من الحياة، فهذا الرجل موهوب بالفطرة وموهوب بالممارسة وموهوب في تحويل كل ماقراه منذ الطفولة الى ولادة مستمرة في الاشياء، وهو قادر بمقدرة عوامله الذاتية ان يقرأ في اليوم الواحد ثلاثة كتب من ذوات الوزن، ويحيلها في اليوم الثاني الى دراسة نقدية فيها الرأي والدقة والتبصر وفيها المعارضة ايضا، فاية قيمة اذاً للكتب الكثيرة (في مكتبات اخرين) اذا كان هؤلاء الاخرون لايقرأونها ولايحولونها الى مادة للعقل ولنضج العقل ولنظريات العقل !

والرسائل بينه وبين كتاب اخرين او سياسيين تلك التي احتفظ بها في (البوم خاص) لم يكن قد نظمها هو بنفسه، وانما تبرعت بتنظيمها اخته الكبرى. فهو يرى من العبث ان يتلهى امثاله بجمع الرسائل

ويزين بها مكتبته، فماذا يفيد انه راسل رئيس المجمع العلمي الفلاني وتلقى منه هدية (كتاب) ويبعث اليه بالمقابل كتابا هدية، هذا شيءٌ عقيم في رأيه لم ينبت سنبلة، او انه كتب الى فلان وكتب له فلان من الاساتذة، كل ذلك لايعني شيئا في نظره.. طلب منه ان يكتب الى مؤسسة في اميركا (Whois Who ?) فلم يرد عليها لانه لاحصول من توشيح اسمه ببعض الكلمات بين دفتي سجل كبير باسماء مشاهير الدنيا، وعاتبته في هذا كثيرا، إذ اصبحت الرسائل اليوم، ادبا قائما بذاته، يقدم لنا روايات سرية لاصحابه، ويقدم لنا محاولات سرية عن اراء ونظريات اصحاب الرسائل ليس بمقدورهم تقديمها علانية في كتبهم المطبوعة، وطالما كانت هذه الرسائل بداية في الاعلان عن نظريات ادبية وتيارات فنية، وطالما كانت سببا في معارك نقدية انتجت ادبا انسانيا عظيما، وعلى سبيل المثال، فان الرسالة التي ارسلها كامل الجادرجي الى مسعود محمد في سنة ١٩٥٦ لو نشرت اولو اراد مسعود ان ينشرها لاعطت قيمة سياسية اضافية الى اراء مسعود السياسية، فالرسالة كانت تخاطب مسعودا بان يساهم في ادخال مادة بشأن حقوق الاكراد تدخل في منهج الحزب الذي كان مقررا ان ينشأ من اندماج حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي، وغير هذه الرسالة رسائل كثيرة من علماء معرفة في العالم كلها تتضمن افكارا ومواقف لو نسقت لكانت ادبا في كتب او كتبا في الادب !

وشأنه في (الرسائل) كشأنه في وثائق النشر الاخرى، فهو لايقيم للارشيف اهتماما، ولم يحتفظ بما كتب عنه في صحف عربية او عالمية

من تقاريظ مهمة، ونحن نعرف ان صحفا مصرية كتبت عنه في الستينات وصحفا المانية واوربية اخرى قرظته في السبعينات، اضافة الى تلك الدوريات التي تصدر في الشرق.. والتي اعتبرته واحدا ممن اسهموا في انماء الوعي اللغوي القومي..

هل اقول انه زاهد في الشهرة.. لا، فالكاتب المجد المجتهد يرى في الشهرة الاصيلة مادة تواصله مع الحياة والجمهور، ومسعود يطلب هذه الشهرة في حدودها الانسانية، اذا ليس الزهد، زهده، كان يطارد ارشيفه ورسائله ووثائقه، وانما هذا المال اللعين الذي اختفى من يد مسعود فصرعه شر صرعة حتى اذا ما افاق منها وجد نفسه بلا غرفة مكتبة ووجد قلمه بلا منضدة كتابة، فاين يضع الارشيف واين يؤرخ الرسائل الكثيرة، هذا هو الحال كما عرفته بدقة !

رحلاته

ولم اجد في موجوداته الوثائقية مايشير الى انه كتب اي نوع من انواع (المذكرات) مع انه يعيش الحياة بكل رهافة عصب، مع انه بامكانه ان ينقل الدنيا تقويميا بكل عصب هذه الدنيا الى الورق، ويجعل هذه الدنيا على الورق كاملة المعنى تتحرك بطلاقة وتنمو وترتعش بطلاقة ايضا، لكنه لم يؤثر التسجيل اليومي، ولم يؤثر ان تصبح ايامه في الماضي تسجيلا فهو يعتقد انه بعد ماحان هذا الزمن، زمنه، لان يحول ماضيه الى حالة ابداعية لان المذكرات ان لم تكن ادبا ابداعيا فهي احصاءات تبحث عن الشهرة وللشهرة ذاتها، وان

في احضان الجبل في الاربعينات

لم تكن هذه المذكرات (موقفا) اعتقاديا لكاتبها انهي صور ماثلة لايام داكنة، ولهذا بقيت (ايامه الماضية) تتجمع في ذهنه ليوم اخر، ومن بين هذه الايام، ايام رحلاته الى المدن والبلدان، ولعله، من بين قلة من الكتاب، استطاع ان يدرب حافظته على الالتقاط السريع، بمؤهلات جسدية خارقة، وبمؤهلات نفسانية خارقة ايضا، فهو يقرب اليك الصور والمشاهد وصفات الناس التي عاشها قبل خمسين سنة وكأنها بنت لحظتها، بما هي، بما كانت تنمو وتتفاعل في ذلك الواقع البعيد !

وثمة شيٌ مهم فيه، قدرته على الوصف والتوصيف في الحال، وهو الشيٌ الذي يمتاز به الرحالة النابهون، لكنه لم يستثمر هذه الموهبة، لانه لم يعد نفسه لان يكون راحلا، وامزجته الداخلية لاتسمح له بان يصف كل شيٌ ولأي شيٌ وفي اي شيٌ وهو مايسعى اليه الرحالة الاخرون الذين يستعملون عيونهم في وصف الاشياء اكثر مما يستعملون عقولهم فهو دأب بان يكون عقليا في رحلاته، ويجعل من (السياسة) مزاجا ابديا في علاقاته مع الطبيعة والناس والنواميس والانظمة والاخلاق، ولهذا يسيطر (المنطق) على وصفه، بدلا من هذه الاحاسيس الروائية ذات المنطق الرومانسي في اغلب الاحيان.

رحل الى الشام سنة ١٩٧١ وغاص في عراقتها وتحادث مع رجال عملها كرئيس المجمع العلمي واعضاء المجمع، وزار عدنان مردم في بيته، وبعض الشخصيات الكردية مثل قدري جميل باشا واخيه اكرم بك وبيت روشن بدرخان باشا. وفي دمشق زار المكتبة الظاهرية وعثر

على كتاب عن ضياء الدين خالد النقشبندي الشهرزوري وفيه ذكر لبعض من علماء (جلي زاده) وهم اسرة مسعود محمد، وواحد منهم كان قد هاجر من شمال العراق الى الشام واصهر الى خالد النقشبندي بتزوجه من بنت اخيه.. ولقد رأى في الشام كتبها ومبانيها التاريخية وفي حين عودته الى بغداد كتب مقالا عما رأى هناك وبضمن ذلك وصف لشخصيات كردية بامانة وبعاطفة جياشة، وبعث بنسخة من الجريدة التي نشر فيها المقال الى احدى الشخصيات الكردية المعنية في المقال هو المرحوم ممدوح سليم، فكتب هذا له رسالة من اربع صفحات بخط رقيق حوت تاريخ حياته.. وفيها ثناء لمسعود على مقالته (انها ترد الروح..) والظاهر ان هذه الشخصية التي كتب عنها مسعود كانت من النمط الثائر في تاريخ الكرد، لان مسعودا ناجاه في مقالته مناجاة التلميذ لاستاذه خاطبه بالتاريخ البعيد للاكراد، وخاطبه بمكتبته الفريدة في الشام التي كانت تضم اغلب ماكتب عن الاكراد في العالم والتي تبددت بعد موته في اواسط السبعينات.

وفي اواخر السبعينات رحل مسعود الى الاردن، لكنه لم يرسم له صورة في ذهنه، واظن ان زيارته للاردن كانت خارجة عن اهتماماته الثقافية.. وفي اوائل الستينات رحل الى القاهرة، واظن ان رحلته هذه كانت سياسية، بدليل ان الصحافة المصرية كانت تستقبله بالسياسة وبشؤون السياسة، وبدليل انه اجتمع بالسياسيين ولم يجتمع باعلام الثقافة، وكان بين السياسيين متميزا في كبريائه، في نضج

العقل وفي فرادة العقل السياسي، ولهذا رأى فيه عبد الناصر تاريخا شخصيا ومجدا شخصيا فكرمه بالدعوة.

ولم الحظ في اوراقه انه حضر مؤتمرا في اقطار الارض، مع انه دعي الى بعض المؤتمرات في نصف الكرة الغربي لاكثر من مرة.

كاتب المقالة

وفي رأي بعض المستشرقين وبعض كتاب العرب ان (المقالة المثيرة) المعاصرة ولدت على ايدي قلة من الكتاب العرب في الحقبة الاخيرة، وفي مقدمتهم: الكاتب العراقي مسعود محمد، فهذه (المقالة المثيرة) تجمع بين الموقف والمعاصرة والبلاغة العالية، وهذه كلها تجتمع في مقالة مسعود، بل تتجانس تجانسا دراميا من المبتدى الى المنتهى، فالموقف في مقالة مسعود هو الذي يمليه ضميره، ضمير الكاتب الذي يفكر متوحدا ويستهلم متوحدا ويبني وجدانه متوحدا، بثقة هي ثقة الداخل بلا تعدد، ولا اعتقد ان ضمير مسعود اهتز في اي عصر ولاي سبب والقراء رعيته وحتى القراء الخصوم هم رعيته، لانهم وجدوا فيه منبرا بلا حساسيات ومنبرا عاليا في البحث عن الحرية والعدل، اما المعاصرة في (مقالته المثيرة) فهي لغة التخاطب التي ترتفع الى (المثقف الاعتيادي) ولاتهبط الى (القارئ الامي) فتنتمي في هذه الحال الى مشكلات العصر، وتقترب بايقاعها الرشيق الى احساس الرأي العام، بلا صيغ متقعرة، بلا غموض متقصد، بلا

الفاظ وهمية، وثالث هذه العناصر في مقالته المثيرة: عنصر البلاغة العالية، وهي مزيج بين اسلوب الادب الرفيع وبين اسلوب الصحافة الرفيع، وهما يتوحدان في ايصال المعاني والمضامين الى اقرب قارئ يتحسس بوجوده، وهناك مثقفون يجمعون في بيوتهم بعض مقالات مسعود، خوفا من عدم اصدارها في كتب، ومسعود نفسه لايعرف ان رعيته من القراء يفعلون ذلك، لكنه يدرك انه محمول محمل الجد والاجتهاد بين قراء لهم كثرة كاثرة في (الوسط العراقي) واحدهم له عين القديس وانف القاضي ولسان المحامي وحكمة السياسي المجرب !

وتنصهر هذه العناصر الثلاثة في (ايقاع) شامل، وكأنها صممت لتصب في قالب موسيقي، وكأنما مسعود اراد ان يواكب مضامينه بايقاع الالفاظ ثم بايقاع الجمل، وكأن الفقرة الواحدة (من اية مقالة له) تبدو قطعة نثرية منغمة، وهو نفسه يهمه هذا التكنيك في صياغة المقالة، فعن طريقه يجلب اليه قراء كثيرين، وعن طريقه يعرف اسلوبه، ويتميز منهجه، ولايهمه بعد ذلك ايكون له تلاميذ ام لم يكن له مريدون، لنقرأ له نصا من سنة ١٩٦٠ يقول فيه: (وليست لي صحيفة ابثها النجوى والشكوى ويكاد يصيب نظري (حول) الترقب لما عسى ان يقرر وزير الارشاد في طلب تقدمنا به انا وبعض الاخوان لمنحنا اجازة صحيفة كردية عربية في تاريخ سابق على نشر مقالي ولعل سيادته يلين قلبه حين يرى عدم التكافؤ في فرص السجال بين مسلح وبين اعزل من سلاح النزال)..

ثم نقف على نص له اخر من سنة ١٩٨٥: (بناء على هذه الحقيقة

التي توضح العنصر الاهم في قدرة (الفرد في القمة) وهو عنصر اجتماعي، لاداعي لتوجس المفكر المادي من الاقرار بما هو حاصل من تأثير الفرد في التاريخ فهو على اي حال اظهر من ان ينكر فأن فرمانا من السلطان قبل ثلاثة قرون كان يحدث من التغيير والتعمير او من التدمير اكثر مئة مرة مما تحدثه عشرات التظاهرات الفاشلة في المطالبات الجماهيرية، واشارة تلفونية من القمة المقتدرة في عصرنا تفعل مالا يفعله شيٌ اخر..) فنرى ان الكاتب هو مسعود، وان مسعودا بغرائزه ومواقفه هو الكاتب، عبر تبدل الاحوال والاهواء والانظمة والازمنة، لذلك صارت الكتابة نسيجا بنيويا في معتقداته، فلا انفصام عقائدي بين الكاتب ومسعود في مسعود.

بهذه العقيدة نشر مقالاته ابتداء من سنة ١٩٥٣ في المجلات العراقية، اي منذ زمن عضويته في المجلس النيابي العراقي، واول شيٌ نشره كان مجموعة مقالات سياسية اقتصادية حول موضوع (التبغ) عددها (١٥) مقالة واخطرها شأنا المقالة رقم (١٠) التي اثارت عليه سخط بعض دول الشرق، ثم تتابعت مقالاته (اطارها ثقافي ونبرتها سياسة) في جريدة (الدفاع) ثم الحياد ثم البلاد فصوت الاهالي ثم (الحرية) سنة ١٩٦٠ حيث احدثت مقالاته فيها اثرا ملحوظا (اغلبها منشور في كتاب من اجل الانسان في العراق للدكتور المرحوم عبد الرزاق محيي الدين) ثم في جريدة الاستاذ محمد حديد بعد انفصاله عن الحزب الوطني الديمقراطي على اثر خلافه مع الجادرجي ونشر في جرائد محلية اخرى في حقبة الستينات، كما نشر مقالات كثيرة في

مجلة المجمع العلمي الكردي وبحثا حول الاملاء الكردي في ٩٠ صفحة بمجلة الهيئة الكردية بالمجمع العلمي العراقي في بعض سنوات مابعد سنة ١٩٧٩، ونشر في مجلة كردية مقالين وهو عضو في مجلس الخدمة في احدى سنوات ماقبل سنة ١٩٧٠ ومابعد سنة ١٩٦٦، ونشر مقالتين لغويتين في جريدة الدستور في الاردن في صيف سنة ١٩٧٨، ونشر في المجلة العائدة الى دار النشر والثقافة الكردية في بغداد مقالات متعددة في مواضيع ادبية وفكرية، ونشر في جريدة العراق مقالات كثيرة بالعربية والكردية في السنوات الاخيرة وبعض حلقاتها صارت كتابا في العربية (وجهة نظر في التفسير البشري للتاريخ) طبعتها الامانة العامة للثقافة والشباب في اربيل وكتابا في الكردية (الى امير حسن بور حيثما يكون) طبعتها دار الثقافة والنشر الكردية، ومن مقالاته المهمة جدا بالعربية ١ ـ وجهة نظر في التفسير البشري الذي اضاف فيها ابعادا مبتكرة في المفهوم المادي للتاريخ، وقد اصبح عنوان هذه المقالة عنوانا لكتابه الذي صدر سنة ١٩٨٥ (والذي سنعرض له في حلقة قابلة) ٢ ـ رشفة من سراب السنين ٣ ـ ياعمال العالم اختلفوا وياحكام العالم اتحدوا وقد نشرت كلها في جريدة العراق.

ونشر هذه المقالات باسمه الصريح الثنائي (مسعود محمد) الا في حالتين، الاولى نشر باسم (هوشيار) كما ذكرت في الفصل الاول، وسبب ذلك انتقاده (الاتجاه اليساري) المبالغ فيه من قبل قيادة حزبه الذي كان منتميا اليه بهذا الاسم، واستعمله في مقالاته

المنشورة في جريدة (الحرية) سنة ١٩٦٠.. وفي الثانية استعمل كلمة (واقعي) اسما مستعارا له في مقالاته في صحيفة محمد حديد سنة ١٩٦٠ وفي صحيفة التآخي، واختار الواقعي سنة ١٩٧٠ لانه كان عضوا في مجلس الخدمة اولا ولانه كتب من منطلق الواقعية البعيدة عن الألاء الشعارات والصيحات الموغلة في التفاؤل والطموح.. وليس عن خوف اختار الاسم المستعار في نشر مقالاته وانما لدلالة فنية سياسية، في (هوشيار - ويعني بالكردية صاحب العقل) كان يخاطب الاخرين بسلاح العقل في حقبة اختلطت فيها الاوراق السياسية، وفي (واقعي) اراد ان يخاطب السلطة سنة ١٩٧٠ بانه (متجرد) في احكامه وفي نقوده، وفي كلتا الحالتين كان مسعود محمد يقدم هوية الكاتب العاقل المتجرد الباحث عن (الحقيقة) بوسيلة العقل !

ولمسعود رأي في المكافأة في كتاباته، فان لم تكن هذه المكافأة من الدرجة الاولى فهي عذاب او كما اسماها مرة (مهانة) على كاتب يعيش من قلمه، وخلال تلك العقود التي نشر كان يعطى مكافأة الدرجة الاولى، ومرة اعطته صحيفة مكافأة هابطة فقطع بها علاقته ورغم مفاتحته بالعودة الى مكاتبة تلك الصحيفة لم يعد اليها، فان القارورة كسرت بينهما، ورأيه وجيه في هذه المسألة، فلانه كاتب بجمهور يرفض ان يتساوى مع كاتب غايته المكافأة وليس الجمهور، ويكفيه انه مسعود محمد، وعلى هذه الشهرة ينبغي ان توضع المكافأة!

من باب الذيوع

ولايريد شهرة في طمع، لانها ستكون عبئا عليه، والشهرة التي يبحث عنها هي التي لاتغل يديه، فهي اذاً من باب القدرة الزائدة على العطاء، وهي ايضا دافع اضافي على النشاط، ثم هي مكافأة في حلاوة الفلوس، يفرح بها مسعود او مثل مسعود لقاء التعب المستديم الذي اناله الشهرة، ثم ان الذي ذاق المرارة في التعتيم عليه يستطيع ان يقدر مقام الشهرة في دلالتها على غزارة المادة وقوة الموهبة او قوة النبوغ وفي شهادتها للشهير بالنظافة والكرامة، كل ذلك مبني على الشهرة غير المصطنعة كرفع قنديل خافت على سارية سفينة، وكثيرا ماتكون الشهرة المسبغة على من لايستحقها ضريبة مفروضة على عامة الواعين وعلى اصحاب اللياقة منهم بوجه خاص، ومسعود جاءت اليه الشهرة من القارئ العراقي بدون اعلان !

ومن طبائع الاحوال عندنا، فان هذا القارئ العراقي مدفوع الى قراءة الشئ المثير في اي موضوع كان، لون المسكنة والطبيعة الترابية والطرق على الحديد الواحد مرفوض عنده في ما يقرأ، والحكمة الباردة والتعقل المتجمد والمنطق المتثائب اشياء مكروهة عنده ولو بلغت حدة السيف في فلق الحقائق، والاثارة المثلى عنده ماجاء في نقد الواقع بجرأة ونزاهة، وهذا القارئ (وان كان قلة) قد وجد في مسعود كاتبا يثيره الى الارقى !

اما مسعود فيريد من (الكاتب الناجح) أن يستعمل ذكاءه في المسايرة غير الرخيصة، وقد يكون ناجحا بدسامة المادة التي يقدمها،

وقد يكون ناجحا بدأبه اعواما بعد اعوام في السكة التي اختارها، وقديما كتب مسعود في الكاتب الناجح، ان انجح الكتاب من جمع شرطين: (حسن الاداء وجودة المضمون) ويقصد بالاول: هو الشكل وهو مطلوب بقدر قرب الشئ من روح الفن، وهذا صحيح ومؤكد، لان الفن الذي لاشكل جميل له لايرفعه المضمون، اما المضمون فيقصد به، او شرطه ان تأتي بجديد ثم يأتي الخطورة لانها مطلوبة بنفسها حتى في الخبر الشفوي دون كتابة !

المهارات

واقصد بها (الفنون) ومسعود ماهر في اغلبها، وهي حقيقة لابد انها كانت خافية على قرائه، ومهارته في انه يتذوق هذه الفنون عموما على تفاوت في مقدار التذوق من هذا الى ذاك: الغناء والرسم والموسيقى، انه لم يدرس هذه الفنون ولكنه يفهم ويدرك نواحي من جمالياتها قد لايدركها ذووها..

كان جده ووالده عالمين بالمقام، متذوقين للغناء ولكن مقامهما العلمي حدد الاوقات التي يتسنى لهما فيها السماع، ومسعود مذ كان طفلا يحضر مجالس ابيه يستمع الى كبار المغنين الاكراد، ويستمع الى (غالب افندي) يضرب على العود ببراعة وغالب ملأ دنيا الشمال بعزفه بمهارة ومزاج، ومثل هذه المجالس لم يكن يحضر فيها الا نفر محدود من اجلة القوم ولاتطرأ الا في اوقات متباعدة، فالموسيقى والغناء مادة معنوية مألوفة في بيئته، وفهمه (للصوت) منذ

الصغر كان متسما بالعمق.. عمره ست سنين والغراموفون قليل الوجود ومجال المقارنة بين الاصوات ضيق، ميز ما في الصوت المصري عموما من عنصر القوة والجمال وطغى منذئذ على وجدانه في الغناء العربي ماضارعه ولاقاربه شئ الا ماينبعث اليه بين الحين والاخر من مدرسة حلب بسورية..

سمع في طفولته الشيخ سلامة حجازي ومنيرة المهدية وام كلثوم وصالح عبد الحي، وصوتا واحدا من سورية يغني غناء المفرد ومعه مجموعة المنشدين (نادت الاوطان هيا..) وغير الغناء له بدايات رسم، اي ملكة الرسم جريا مع السليقة، وله رأي علمي في (الرياضة) ويستغرب تصنيف المصارعين والملاكمين الى فئات من وزن كذا وكذا ولايصنفون السباحين على مقاييس من طول الذراعين والرجلين ولا القافزين على مقاييس من طول القافز ونحول الخصر.. ثم لايشترطون حدا معينا من فارق العمر، وحجة مسعود في ذلك، ان الضوابط طغت على اصل اللعبة، فلربما كان اطول الناس قفزا في العالم اقلهم حظا في الفوز لقلة فهمه نظام اللعبة او خطأ في موضع قدمه عند القفز، وينتقد مسعود اولئك الذين جعلوا خطأ يرتكبه لاعب الكرة في موضع قريب من مرمى الفريق خطأ محسوبا على كل الفريق وعلى مصير اللعب بان يخلو الميدان الا من حامي الهدف يرد الكرة عن الهدف وحده، ولو اخطأ الفريق كله في موضع بعيد عن الهدف ماكانت عقوبتهم بتلك القسوة، ويقول مسعود: يقولون ان اميركا لاتأخذ بالتسلل.. كثير من هذه المواضعات تحتاج اعادة نظر وتعديل: لابد من تمكين الشخص

من ان يبدي قدرته بشكل من الاشكال اذا كان لايضبط حركته على الشروط المفروضة.. ومسعود في هذا لايدعو الى (الفوضى) ولكنه يرفض التزمت ويرفض ان تكون القوانين جامدة !

وذهبت بمسعود الى فن التمثيل والاخراج فناقشني فيهما بفهم وادراك وتذوق، وكأنه يقف كل يوم على اسرارهما رغم مشاغله في الكتابة، ورغم انه، كل يوم، مهموم برسم حالات الانتصار في الكتابة، فهو يعجب لغباء بعض المخرجين حين يريدون تصوير المشهد على الطبيعة فيجرون الحوار بين الممثلين في حديقة او بار او في شارع، وحجة مسعود على خطأ هؤلاء، انهم يجهلون ان ذلك قلب لموازين الطبيعة، لان الماشي في الشارع يستطيع فهم صاحبه بسبب ان الاصوات الاخرى تأتي من اتجاهات متباينة ولاتخرج من فم صاحبه المتكلم، في حين ان هذه الاصوات كلها بعد تسجيلها وعند اعادتها في عرض المشهد بالتلفزيون تخرج كلها من بؤرة واحدة فتختلط اختلاطا غير واقع في الطبيعة فيتعذر فهم كلام الممثل وحجته في ذلك ايضا، ان الانسان يستطيع ان يلتقط صوتا واحدا من بين اصوات كثيرة شريطة ان تأتي من اماكن مختلطة، وهناك حقيقة تدعم حجة مسعود هذه، وهي ان بعض الناس يتحايلون على الميكروفونات الخاصة بفتح الراديو اثناء الحديث لان الراديو في التسجيل يختلط بالكلام عند اعادته ولكنه لم يكن يمنع الفهم المتبادل بين المتحاورين، وخلاصة ارائه في فن التمثيل هي ان النمطية واعادة الذات تفرض نفسها على مجمل العمل التمثيلي عندنا والابداع قليل

رغم ان بعض الممثلين لاغبار على كفاءاتهم، ويبدو لمسعود ان ظروف العمل والحوافز وفرص الظهور غير متوازنة ويسمع من هذا عجبا !

وناقشني في (المقام)، اذ انه تراث له ما له وعليه ماعليه، اظهر مايعتبره سلبيا انه غير ولود (فالمقام الواحد مثل مسلة حمورابي قائم بمفرده يدل على ذاته ويتمسك بنفسه لايتغير سواء قرئ به رثاء او هجاء او حماس او غزل)، ذلك انه يرى هذا المنشد للمقام اذا غناه بالشعر الفصيح لايبدو منه اي التفات الى معنى الشعر وقد لايفهمه اصلا وكل همه ان يؤدي الاصول والضوابط وان يحمل حنجرته على بعض القفعات والاختناقات والانحباسات المعتبرة لب اللباب في جمالية المقام وكثير من هذه الاصوات غير قادرة على مزج الفنون الصوتية المتاحة - بمقدار - في المقام، ويرى مسعود في القبانجي انه مزج هذه الاصوات بالذبذبات السليمة وبالحلاوة وترصيعها، واراء مسعود بالمقام تختلط بذكرياته، فيوم كان صبيا كان يمر على بيتهم قارئ مقام من كركوك ويقرأ المقام بطريقة لايستسيغها مسعود، كان صوته يخرج فحيحا في مثل فحيح الهواء القوي النافذ بين الاغصان لانبرة فيه اطلاقا ولادخل لحنجرته في ما يؤدي لان اوتارها كانت عاطلة.. كان الفحيح يخرج من حلقه (مكان حرف الحاء بالذات) لامن حنجرته فيحاول الاداء بهذا الجهاز المعطل عن العمل فتجحظ عيناه المنطفئتان وقد يتدلى لسانه لاتساع المسافة بين شدقيه المفتوحين !

ام كلثوم

وانه لو اراد ان يؤلف في (ام كلثوم) كتابا لجاء باراء جديدة في نظرية صوتها بل في نظرية الصوت الغنائي للحنجرة العربية، والظاهر انه يتابع هذه الاحاديث في الغناء والموسيقى من الاذاعة، وله رأي في هؤلاء المتحدثين، فهو يقرأ لعادل نورس مثلا هذه الاحاديث الجميلة الكاشفة عن ام كلثوم، لكنه وجد عادل نورس لم يتطرق الى حقيقتين في ام كلثوم، احداهما مرتبطة بطبيعة صوتها نفسه اما الاخرى فحقيقة مرة من خارج ذلك الصوت العبقري، فقد رأى ان ام كلثوم اصيبت في الموسم الغنائي الواقع بين عامي ٤٩ ـ ١٩٥٠ بعارض مرضي احس به من اول دقيقة، فقد بدأت ليلتها باغنية (الآهات) وكانت في الشهر السابق غنتها وبلغت فيها مديات يقصر عنها الوهم فوجدها في هذا الشهر لاتستطيع الصعود بيسر الى افلاكها المحتكرة لصوتها دون اصوات العالمين وتعاني صعوبة في خلق البداعات المعجزة التي هي من سماتها.. ويمر بتاريخ ام كلثوم فيذكر سفرها الى لندن للعلاج وعودتها وكيف انها أكرمت في حفلة تسابقت فيها الادباء والفنانون بما في طوقهم من حسن التعبير والاداء. يمر في هذا التاريخ ويقدم لك الاسماء والشهود والحوادث برهافة فيرغمك بان تدخل اجواء ذلك الزمان برهافة ايضا.. والحقيقة الثانية التي اكتشفها مسعود في صوت ام كلثوم، هي ان طاقات هذا الصوت لم يكن لحن من الالحان يستطيع احتواءها، الى هنا الامر مفهوم ولكن هناك شيئا وراء عجز الالحان تجاه صوتها، فيرى انها

هي نفسها لم تستطع في احوال التجلي والانطلاق ان تعجز صوتها، ويريد مسعود ان يثبت ان هذا الاعجاز كامن في بعض لهاتها او اوتارها، وقد استعرض كل اغانيها بلا مراجعة في مصدر مكتوب، وكان لسانه يدندن في كل الحانها باللهجة المصرية ذاتها، واستعرض حياة اولئك الفنانين الذين عاشوا جيل ام كلثوم، قبله او بعده، بلا مصدر مكتوب ايضا، وانما قلب مسعود كان يتدفق بالتاريخ شهيا، اليفا، سخيا، وانما رأسه او عقله كان يتدفق، فيخلق المصادر الثابتة وينشئ المصادر الغنية، ويحكم ويحاكم، او لِنقل انه كان يقرب لنا التاريخ ويصنعه في ان واحد !.. في علاقة حب يمزج بها الصبا وترنيمات الشيخوخة الجليلة، هو كذلك الاعرابي الذي قال يوما:

واني لأهواها وأهوى لقاءها ... كما يشتهي الصادي الشراب المُبَرّدا
علاقة حب لَجَّ في زمن الصبا ... فأبلى وما يزداد إلّا تجدّدا

لهجة مفكر..

في الداخل من الناحية القانونية لااملك ان اكون مخالفا لما استقرت عليه قواعد الحكم. وفي مجال ممارسة الفكر ليست لي كتابة منشورة خارج العراق لكي تكون خارج مقاييس الرقابة في الداخل. انا في قراراتي: كردي، عراقي اكثر من كل العرب ومن كل الكرد فلا اعتقد ان انسانا اخر يمكن ان يكون مؤمنا بـ (العراقية) مثلي ولي في ذلك مذهب منتزع من الترجمة العملية لما هو نظري من قناعاتي فقد تيسرت لي فرص كبيرة ومغرية لعيش رخي انعم به خارج العراق ولكن بسبب انشدادي الفكري والروحي الى منتماي في العراق رضيت بما هو متاح هنا عن ماهو مركوم هناك وشتان مابينهما !!! انا مستعد لبذل كل شئ انا قادر عليه اذا كان ذلك يخدم مصلحة العراق، لكل العراقيين بلا تفاوت.

(من رسائل مسعود محمد الى المطبعي)

الاول من اليمين مع صديقين له في الاربعينات

■ شذرات في رحاب الراحلين !

وقدمت له قائمة بالكتاب الراحلين، فقال مختصرا:

* محمد مهدي البصير ـ بصره في جهاده وفي المعرفة عوضه وعوض الناس بربا النسيئة.
* عباس العزاوي ـ اصبح ترابي المظهر من فرط مانبش في اضرحة التاريخ، اجزل الله ثوابه.
* محمد رضا الشبيبي ـ عملاق في الخلق والاستقامة وعلو الجناب وفي اللغة والادب.
* رفائيل بطي ـ ربما كان اجرأ سياسي من نحلته فتح الاقفال على الابواب الموصدة بزاده من الادب .
* طه باقر ـ اثاري غاص في ارض العراق الرسوبية حتى مستواها في ماقبل الطوفان، ذهب ببعض علمه الى القبر. افقدته الايام الاخيرة بعض موضوعيته.
* بدر شاكر السياب ـ مخلص مسطح شغل بعبقرية تعابيره مساحات واسعة على لب ادبه.
* انستاس الكرملي ـ نصب نفسه خيمة كبيرة في حومة العربية.
* فؤاد عباس ـ لم اقرأ له مافيه الكفاية.
* مصطفى جواد ـ هضبة عالية لاقمة لها تصعد مطمئنة في اللغة العربية والتاريخ الاسلامي.
* كوران ـ مجدد في الشعر الكردي ترفده الثقافة الموضوعية والقدرة الفنية بزاد الشهرة.
* داود الجلبي ـ كفاه ان تكون كتبه في راس المصادر ..

○ اجيال ...

وقائمة اخرى من الكتاب الاحياء، قال مختزلا اوصافهم:

* محمد بهجة الاثري ـ عالم لغوي متمكن فاض من زمان بعيد وما غاض.
* عبد الرزاق الحسني ـ في ميدانه التاريخي انشط من العصفور وهو يبني عشه ابان التزاوج.
* نازك الملائكة ـ اعرفها بالاسم وبشيء يسير من شعرها لايكفي اساسا للرأي.
* علي الوردي ـ صياد ماهر، على قدر اطلاعي، يجس المكامن ويستجلي الرؤى حتى يضرب ضربته الكبرى.
* كوركيس عواد ـ ثبت بالمصادر يمشي على قدمين برأس كبير.
* جلال الحنفي ـ يجمع باقتدار بين السلفية والعصرنة مستعينا بالتوسع والتمكن.
* عبد الكريم المدرس ـ بقية من السلف الصالح تقوده عقيدته المؤزرة بالعرفان الى حسن العاقبة.
* عبد الحميد العلوجي ـ لم اتعرف عليه بما فيه الكفاية فلا اظلمه او اظلم نفسي.
* الدكتور جواد علي ـ جليل في ما قرأت له واستزيده مطالبا اياه ببيان رأيه في التاريخ.
* محمود شيت خطاب ـ كتاباته تنطق بكونه جنديا مجاهدا في ميدان العروبة والاسلام.

هذا الرجل الكبير ..

وقلت للشاعر علي الحلي، كيف تختصر تاريخ مسعود محمد، قال:

* منذ الخمسينات.. كنت اتابع الشخصية المرموقة، الاستاذ مسعود محمد، وجهده الحذر، المتاني، العقلاني.. في المضمار السياسي.. في مختلف الانشطة والمواقع الحساسة التي يشغلها بحكم وضوح مسؤوليته الذاتية، او بحسب المستلزمات الضاغطة على الصعيدين الوطني والجبهوي.
* آمنت به.. صادقا، وفيا، مستقيما الى حد بعيد مع نفسه والناس، بعيدا عن بهارج التهليل القومي.. مخلصا لبني قومه الكرد.. ولكل انسان شريف في العراق ككل، في المنظور الاحادي والوحدة الوطنية معا. وكان ينأى بفكر وقاد وسمو نفس ورؤية انسانية عن ضباب التعصب وسديم الشوفينية.
* اعتزل فترة من الزمن، او هكذا خيل الي، ربما، لعدم متابعته الجادة من قبلي، لكن قبل مايقرب من اربعة اعوام شدني الى جهاز التلفاز.. بمقابلة قيمة، هزتني تماما، وفرضت علي احتراما من نوع اخر.. لهذا الرجل الكبير، ومازلت احتفظ بتلك المقابلة، كجزء لايستهان به من الوثائق المرئية، المسموعة المهمة.
* وفي جريدة (العراق).. تابعت بشغف وتقدير.. قلمه، وفكره، وتصوراته، واستنتاجاته الفذة، ورؤيته الخاصة للحياة في الميادين المختلفة، لاسيما على صعيد الاقتصاد وفلسفة التاريخ،

والصوفية الانسانية الجديدة.
* ورحت اجمع كل ماقرات للرجل السياسي، المفكر، اللامع.. في ارشيف خاص، ولم اتحرج في الاتصال بمستوى معين من الاصدقاء المثقفين، لحثهم على متابعته، بل صورت كتاباته، ومنحتها.. بعض من اوثر واحب.
* كان الرجل يكبر اكثر في عقلي وقلبي وتفكيري.. احببت فيه جرأته، صراحته. سعة رؤيته، نأيه عن الذرائعية الفاسدة، وهالتني قدرته العالية على امتلاك ناصية اللغة العربية، والتفقه في مفرداتها.. بمنظور العالم المتمكن..
* اتمنى لو ان مثقفا عربيا بمستوى عمره وتجربته النضالية.. يقدم للاجيال خلاصة خبرته في الحياة.. بوضع «متوازن» لتجربته الذاتية.. مع الحقيقة، والتاريخ.. بالقدر المتسامي الذي نشره الاستاذ مسعود محمد، الشخصية العراقية، الكردية، المبجلة.

علي الحلي

بيادر في اعقاب موسم الحصاد

منهجه

..هـو مفكر خـارج مقاييس الاكـاديميين، فتفكيـره مستقل، ومصدره من قواه الذاتية، ورؤيته من وعيه المتراكم عبـر نفسه ووجدانه ووحدة تفكيره، ولهذا ليس له منهج معين في الكتابة الا ان يكون انسياب الفكر الى الورق من القلم منهجا، وفي هذا المنهج يرى الدنيا كلا مترابـطا ويرى المـوضوع الواحـد ضمن الدنيا المترابطة مترابطا ايضا فيجب ان يكون استرساله غير مقطوع، ولولا الضرورة وتعسر التعبير الطليق الذي لاوقفـة فيه رغب ان يكون كلامه في اي موضوع نفسا واحدا متصلا بلا انقطاع، لان الاشياء لاتقع متقطعة كما يقراها الانسان في الكتب واسبـابها ملتحمة لاترقيم لها في واقع الوجود، حتى ان نقطة نهاية الجملة اعلان عجز القلم عن متابعة الفكر الذي لا نقطة وقوف فيه.

منهجه الذي هو لامنهج، التوصل الى معرفة وتوصيل الاشياء بكل جوانبها ومايتصل بها سلبا وايجابا، فالصورة الفوتوغرافية للعقرب لاتنبىء الناس بأن لها ابرة سامة قد تكون قاتلة، هوكذلك يرى وجوب تفهيم القارئ بان (التنـاقض ليس بالخـطورة التي تعزى اليه) ولايجوز التوقف هنا بل تجب اضافة (ان افتـراض التناقض في كل شيٍ احرى ان يكون من اعدى اعداء البشر واقتل الادواء للتـطور) ولايجوز التـوقف هنا بـل يضاف ان (الوئـام والصفاء والتفاهم والوقوف عند حد المعدلة امور ممكنة ومجدية وان تحكم الاقطاعي بالفـلاح والمتمول بـالفقير ليس من طبـائع

المصالح الحقيقية بل هو رشح النفس الشريرة) وعبر هذا (التفهيم) يوصل افكاره لكنه لايفترض صحتها، المهم ان يحصل القارئ على نتيجة، ان يكون في الصميم، فمثلا يجب ان نفهم من نظرية الجاذبية ماذا تفعل قطعة حجر ترمى في بئر تنفذ من الجانب الآخر للارض: هل تتسارع ام تتباطأ حتى تصل نقطة المركز، يجب ان يفهمنا الفلك اي علم الفلك عند درسه في الصف كيف يكون ان القمر يدور حول الارض في ٢٧ او ٢٨ يوما ولكن الشهر القمري ٢٩ او ٣٠ يوما، لماذا تدور الارض حول نفسها في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وكذا ثانية على حين يكون اليوم اربعا وعشرين ساعة كاملة. ماهذا الفرق، المنهج الامثل هو التفهيم الامثل، ان يكون مسعود محمد في وعي وبصيرة ورؤية القارئ !

كيف يؤلف

وغالبية المواضيع التي يكتب فيها سواء منها ماكان منشورا في صيغة مقال او في صيغة كتاب ماثلة حاضرة في ذهنه وكثير منها يكاد يكون لطول اختماره في دخيلته شبه مفهرست او منظم، وندر ان يكون احد مواضيعه غير تام الخلقة، وكلها بلا استثناء تنساب في الكتابة الاولى مترابطة لافاصل بين بدايتها ونهايتها الا ماكان منها يطلب التجزئة بطبيعته، ولذلك كان اغلب مايكتب نسيجا متصلا بلا فصول وأبواب، وهي بعض طريقة مؤرخينا القدامى، وحجة مسعود في ذلك التدفق، انه لايكتب في الفيزياء او الرياضيات

حتى يفصل بعضها عن بعض ويرقم ويعنون اجزاءها حسب اللزوم، وهذا صحيح، لان الفكر لايتجزأ !

أما اختياره للموضوع فيكون على اشكال، فقد كتب عن (حاجي قادر) و (نالي) في كتابين منفصلين بتكليف من مجلس المجمع العلمي الكردي وجاء كتابه (اعادة التوازن..) و (لسان الكرد) من ضرورات الاحوال، وعامة مواضيعه اتت جريا مع السليقة ولكن سبق احدها للاخر في الظهور راجع الى استدعاء ظرف املي عليه تقديمه، ويكون في بعض الاحوال قد استجاب الى طلب جهة ما او امتنع عن الاستجابة للكتابة في امر ما حسب وقوع الموضوع او عدم وقوعه محلا ممهدا في اقتناعه، وظاهر عليه ان اقتل عامل لرغبته في الكتابة هو الطلب المصحوب بالالحاح، اذ انه يرى لابد من احساس داخلي ذاتي بضرورة اخراج مافي ضميره حتى يجد الكلام سبيله الى الولادة اولا ثم الترابط ثانيا ثم التحبير ثالثا ان كتاباته عامة تتضمن رأيا وموقفا غير متحيز ولا محايد، فالالتزام الادبي بصدقها مضاعف اذا قيس الى التغزل بالنجم والشجر وريش الطاووس فلابد ان تنز من دمه وعصبه، فلا يمكنه مثلا او قطعا ان يستنبع بئراً جافة فاذا عمد الى الحفر جاء ماؤها عكرا اجاجا ترفضه النفوس !

المصادر

وتدفقه في مواضيعه جعله يبتعد عن (مرض) المصادر، تكديس المصادر؛ اذ لاوجه لشحن فهرست المراجع بذكر مالا لزوم اليه،

فلقد وجدنا من يشير الى اكثر من مرجع في كلمة (ماء) وهل من حاجة الى ذكر المرجع في قولنا بدوران الارض وان القط اقصر عمرا من الفيل، والفكر اذا لم يكن مستعارا فليس في جديده مايتركن الى المراجع ولاداعي للاشارة الى ديوان المتنبي مثلا لمجرد الاستشهاد ببيت مشهور له في الشعر.. هنا، مواضيع مسعود الا اقلها، لاتخضع للمراجع في اغلبها فكرية تتصل بفلسفة المسائل التي تناقشها، وكثير من كتاباته نابعة من كيانه، من اعتقاداته في الحياة!

وهذا لايعني انه لايعتمد على المصدر في مايكتب من كتب وبحوث، وانما اعتماده يكون في ماهو متوقف على المصدر كأن يعارض شيئا معينا معزوا الى كتاب معين او حين يستعين في بناء الراي على حقيقة او رأي قوي، والتحقيق في الاحداث يقتضي بالضرورة ذكر ازمانها واشخاصها، وهو يفعل ذلك بعيدا عن اجترار افكار شاعت او الترويج لمذهب اشتهر به فلان من الناس، كان همه ان يعطي الناس زادا هو ملكه !

ترى ما المصدر الذي يمكن ان يعتمد عليه في مثل قوله ان الحضارة ليست الثورة او التنازع على السلطة او كسب القوت اليومي وان احد اسباب تفاقم المشاكل في العالم هو ان الخط المضيء في تكوينه وهو الحضارة لم تصبح بعد قوة رادعة بل انها لم تبدأ الخطورة الاولى في السير الى تكوين تنظيم شبيه بحركة السلم او الحياد او حقوق المرأة، وحين يقول ان التاريخ يفسر بالانسان وليس بما يتولد منه من اقتصاد وعقيدة ومايحيط به من احوال

ماكانت قط الا بعض ما انعكس منه هو فكيف ومن اين يأتي بالمصدر، ومن هنا اصبح الاتكال على المراجع غير ذي موضوع عنده.. ان الرأي النابع من وجدان الشخص هو كالحلم الذي راه في المنام او قطعة شعرية يرسلها او تمثال يصوغه او موسيقى يؤلفها فهي كلها وليد الشخص وليس لها مصدر او مرجع متعين بالذات، الا عموم المعارف والثقافات التي تغذي العقول جميعا، ان رأيا كونه مسعود من ملاحظة تنادي اشياء متباعدة افلتها نظر غيره لايمكن ان يستند الى مرجع، فقد وجد مثلا ان الشعور الطاغي بالكرامة دفع حاجي قادر الى المسلك الذي سلكه والشعر الذي نظمه ومنعه من الزواج على الفقر ودفعه الى اختيار الاغتراب والى.. والى فذلك هو التفسير الوحيد لسلوك حاجي قادر ولا مرجع لاحد في ذلك، وتجده كذلك في كتابه (لسان الكرد) مستندا في كل رأي يبديه الى مرجع يسنده لان مادته في اغلبها كانت مطمورة في التراب حتى استخرجها علماء الغرب.. حين قال مسعود ان ربط المراحل التاريخية بالاقتصاد يقتضي حذف الشيوعية الابتدائية لانها خالية من الاقتصاد وان الرق ظاهرة اجتماعية وليس مرحلة وان المراحل تبدأ بالرعي، حين قال ذلك مستعينا بخالص معاناته لم يجد مصدرا واحدا يعتمد عليه ولاشعر فيه بالحاجة الى المصادر!

من يخاطب

وفي هذا الاجتهاد الذي يجتهده فان مسعودا يخاطب في الدرجة الاولى عقول الخاصة لانه لم يعتمد في حياته ان يجمع حوله تيارا او

حزبا يدفعه الى تحقيق مايراه صالحا وسببه انه لايتحمل مسؤولية دفع الناس الى المصاعب بلا قدرة على انقاذهم منها والدنيا غير متوقفة على حزب يشكله مسعود بشخصه المجهول وبمكانه المجهول في خارطة العالم كي يتغاضى عن مصاعب الناس في هدف كبير خطير ولم يكن جائع النفس الى الظهور واستعراض العضلات كي يغلف نيته الذاتية بشفوف الفلسفات والتبريرات فانحصر امله، وهو غير قوي، في عرض افكاره على عقول الصفوف المتقدمة والقادرة على التغيير لعلها تقتنع بها فتصل من خلالها الى حيث يريد ان تصل، والطريق غير مسدود على بقية الصفوف لفهم مايريد قوله وهي على كل حال تحس من جملة الاصداء المنعكسة من ارائه جانبا مهماً منها وجد مسعود كثيرا منهم مهتماً بالسؤال عن معنى الشئ الفلاني في الكتاب الفلاني وشرح بعضه لبعضهم بنفسه، اما المواضيع التي لاتتسم بالخطورة فقد استعمل اسلوبا في معالجتها لم يطلب فيه خطاب الخاصة ولكنه لم ينزل فيه عن حق اللغة بذمته، فاللغة ترجمان العقل ووعاء الحضارة وجسر التواصل، لها الحق في التزين بدررها المدفونة فيها، ثم ان اللغة او الاسلوب هو نمو الموضوع الى الخارج فليس من المنطق في شئ ان يكون المحتوى جميلا والشكل غير جميل، واللغة الضعيفة لاتستطيع ان تكون ترجمان الفكر القوي او رسولا مقنعا الى الناس، خلاصة القول هي ان اسلوب مسعود مبني على فلسفته في طريقة الايصال، فالمخاطب عقول خاصة الخاصة في غالب مايكتب ولكن المصلحة المستهدفة هي مصلحة الجماهير

العريضة وليست خاصة الخاصة فهي ايضا لها نصيب في صالح مايكتب لانها في المآل جزء من الجمهور العريض !

زمن التأليف

والزمن اللازم لاخراج الكتاب الواحد لمسعود يتوقف على جملة من الاسباب والاحوال، فالكتاب الطويل يأخذ منه في العادة وقتا متناسبا مع طوله، وقد كتب الجزء الاول من كتاب (حاجي قادر) في اكثر من ٤٠٠ صفحة خلال الشتاء الواقع بين سنتي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ وجزء من الفصل الذي سبقه والذي لحقه ورافقه الانشغال بالمقالات واملاء المواضيع التي كان مسعود يترأس اللجان الخاصة بها، وصادف ان بحثا جانبيا في كتابته عن حاجي قادر استغرق اكثر من سبعين صفحة ففصله عنه واخرجه في كتاب مستقل امتد الى حوالي ١٧٠ صفحة في الجزء الاول من كتاب (الانسان وماحوله) وليس له مقياس يحدد الوقت المعروف في (حاجي قادر) وفي (الانسان وماحوله) وتأتي بعض الاحوال المعاكسة فتعيق او تقتل الهمة في الكاتب مسعود، وفي الاحوال المثيرة للنشاط يزداد عطاؤه بشكل مذهل، فقد كتب (اعادة التوازن..) في نفس واحد وكانت اوراقه تتراكم في المطبعة لقصورها عن ملاحقة سرعة كتابته، وكتب كتاب (الى امير حسن بور حيثما يكون) بزمن قياسي في القصر ولكن كتاب (حمه اغا الكبير) اخذ منه اكثر من ستة اشهر لاسباب خارجة عن ارادته، وهو سريع في الكتابة (انما هو ظاهرة فريدة في سرعة الكتابة

لم اجد له نظيرا في ما رأيت وراقبت وعاصرت..) واغلب مايكتب من نسخة واحدة هي المسودة والمبيضة، ومن اسباب ذلك انه يريد ان يخرج اراءه الى العلن في الوقت المتاح وهو غير فسيح امامه، ومازال يضم جوانحه على صرخة كبرى لايعلم لها مخرجا، حتى انه فكر في ان يتوسل بعنوان يشفع لمحتواها فخطر له (مسعود محمد يرثي مسعود محمد).. اما كتابه (لسان الكرد) فانه لم يستغرق في مجموعه اكثر من شهر ولكنه مستند الى سابق قراءاته وملاحظاته وتدقيقاته ضاربة في العمق، وليس له منهج في تنظيم الافكار باكثر مما هي متسقة في ذاتها، ولو خطط تصميما بالترقيم والتسلسل حسب الاولوية والتتابع فالراجح هو انه يخفق في ارضاء نفسه وانصاف الموضوع، لان تفريق فكره وفقا لتفاريق ماهو مخطط في المنهج تقتل عنده عنصر الحبكة فيتنقض النسيج الى مزق الا اذا كان الموضوع بطبيعته يستدعي عنده الجدولة والمنهجة والذي منه ..

الرقابة او الرقيب

واشك ان ثمة رقيبا في كتب مسعود محمد، فالحياة كما هي الحياة في كل كتبه تنساب في ارادة الكاتب قوي النبرة، قوي الصوت، قوي الصدى، لانه يكتب بتصميم من ينسي نفسه وجود (الرقيب) فافكاره الاساسية تتسارع الى الورق، وبغيرها لاتبقى حاجة للكتابة، ومذهبه في تقدير المصلحة العامة المرتبطة بالكتابة هو انه خير لها ان يسمح للصالح وللشرير بالتعبير عن نفسه من ان (يمنع) الصالح والشرير

من التعبير، فالمبدأ الاساسي عنده هو وجوب التبليغ والتفهيم باخطر واهم ارائه، ويراعي جانب الوضع العام الذي ينعكس في عمل الرقيب بامور يلتزمها، فهو لايجرح احدا ويتفادى الاثارة ويلتزم الموضوعية، ويعرض المصلحة التي يستهدفها في قالب يراه مقنعا ومحببا الى نفس الرقيب ذاته، وتعينه اللغة السليمة المعتنى بها على تقبل محتواها من الرقيب والمسؤول، فليس منتظرا ان يثير الشئ الجميل عواطف سلبية تجاهه فانت ترى ان الصياغة الفنية لقطعة من الشعر تكون سمة مرور لها الى العلن رغم الجرأة او (التجاوز المحدود) الذي قد يكون منطويا فيها، وماكانت بعض القصائد (الخطيرة) في التاريخ مقبولة الا بسبب جمال سبكها، ثم ان مسعودا انسان موثوق من نواياه فلا ارتباط له بغير ضميره.. اما الموانع الاجتماعية التي تعيقه في الكتابة فبحثها يختلف، فالموضوع السياسي لايحسب من هذا الجانب وكذلك البحوث الادبية واللغوية والتاريخية، كان عدم التجريح واحدا من الاسس المتبعة في كتاباته، فالكلمة التي تصطدم مع المشاعر العامة تكاد تكون ممسوحة من قاموسه، ولكن الاجتماع محسوب حسابه من زاوية انه يستهدف مصلحته؛ وقلما خلت السياسة او خلا الفكر من نوع اتصال بالمصلحة العامة وليس في ذلك مايستدعي التحرج منه اذا استعمل الصراحة فلا ضرر فيها ولاتجريح..!

والاخلاقيات اكثر حساسية ويراعيها مسعود بحساسية ايضا في ابحاثه، وبعض مجتمعنا حتى اليوم منغلق بذاته في وجه المصارحة والمكاشفة حتى ان بعضا مما يعرض في التلفزيون لايستساغ عند فريق كبير من الناس بسبب مافيه من عرض لما يجب ستره، ومسعود

في هذه الابحاث لايضطر الى الخوض في مواضيع محرجة خوضا متحديا سافرا، لانه يعتقد ان الاولى هو ترك انواع من التزمت بلا اثارة فانها ستتلاشى تلقائيا مع الزمن، ويقدم مثلا على ذلك في ان المراة لم تحصل على حرية اللبس والعمل والتنزه ببطولة الكتاب او الابحاث وانما جاءتها حريتها مع تطور الاحوال او مع تطور النظام السياسي !

عالم المؤلف

ومشاكل طبع كتبه وتوزيعها في اكثر مايكتب تقع على عاتق الجهة التي تقوم به وهي رسمية لها موظفوها ومختصوها، فلا كلفة عليه الا في مراجعة بروفات الكتب فقط تقليلا للاخطاء المطبعية، اما المقالات وما اليها فهي تخرج علي يد مسؤولي الجهة الناشرة، وهو لم يتكلف الصرف على اي من كتبه ولكن توزيع ثلاثة منها كان من مسؤوليته لانها طبعت بكلفة غيره لخاصة حسابه وهي الجزء الثاني من امير حسن بور، صرفت عليه وزارة الثقافة والاعلام، وكتاب الى امير حسن بور اخرجته دار الثقافة والنشر الكردية بمصرفها لحسابه، وكتاب (لسان الكرد) فكان توزيع هذه الثلاثة فقط من مسؤوليته ولم يتعب فيها كثيرا، ولم يهمه كم سيبقى من اعدادها بلا توزيع لالتزام غيره بكلفتها، لسان الكرد بيعت اعدادها صفقة واحدة الى احدى المكتبات ببغداد، وكتاب (امير حسن بور) اخذها موزع لتوزيعها ولايعرف حتى الان كم بيع منها وكم بقى، وكتاب (الانسان وماحوله)

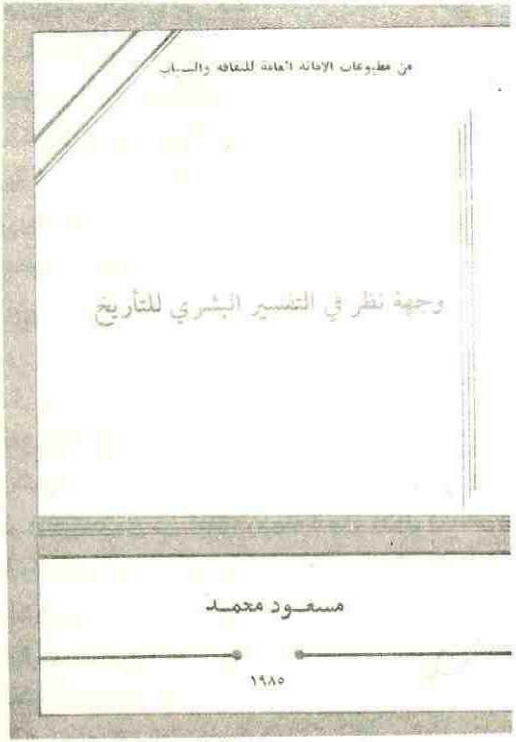

بيع منها اربعة اخماسها ولايهمه خمسها الباقي، اما المكافآت فسواء أكانت من المقال أم من الكتاب فهي ذات مقاييس رسمية تسري عليه وعلى الكل ولا اشكال فيها، ولانظن احدا من مسؤولي مراكز الطبع والنشر الرسمية يغبنه حقه وربما وجد منهم مايدخل في باب التكريم، وان حظه في الكتابة احسن من حظ غيره من غالبية الكتاب الكرد، فهو راض بالقسمة من ناحية الحظ المادي ولكنه يأخذ على «بعض» اللجان التي بيدها تقرير ماينشر في الدوائر المختصة انها لاتخلو من «التحيز» في احوال ملحوظة، ومع هذا فهو من نمط الكتاب الذين تأتي اليهم دور النشر خفافا !

مؤلفاته

اول كتاب الفه بالكردية في سنة ١٩٧٣ وهو عضو بالمجمع العلمي الكردي، هو الجزء الاول من (حاجي قادر الكويي) نشر ووزع يوم ازاحة الستار في كويسنجق عن تمثاله، وجاء الجزء الاول في اكثر من ٤٠٠ صفحة والحقه بالجزء الثاني في نحو ٣٨٠ صفحة سنة ١٩٧٤ وبالثالث في اكثر من ٤٤٠ صفحة في سنة ١٩٧٦.. وجاءت الاجزاء الثلاثة في فترة عمر حاجي قادر التي قضاها بشمال العراق وشطرا منها في دراسته المساجدية في الاغتراب وبقي جزؤها الاهم وهي حياته باستنبول حيث تفتحت مواهبه في الفكرة القومية المستنيرة، وهنا انقطع امكان مسعود بخروجه من المجمع العلمي الكردي فلا يستطيع التفرغ سنة وسنتين في اجزاء كتاب كان منشغلا باجزائه الاولى وهو في المجمع مؤمن الرزق وبجنبه مطبعة تحاول ملاحقته في

طبع مايكتب فلا تلحق..

وحاجي قادر الكويي شاعر مبدع في فنه ورائد في الفكرة القومية ومن مسقط رأس مسعود محمد وزميل جده في الدراسة، فتعمق في أطواره وسجاياه ومنازعه بما في طوق المؤلف من قوة الاستنباط والاستنتاج، وفي الاجزاء الثلاثة الم مسعود بنشأة الشاعر ومنبته ومنتماه القبلي وحياته في كويسنجق ودراسته مع جده في منطقة (بالك) باطراف رواندوز، وفي هذه الاجزاء استدلالات كثيرة مستندة الى اسسها القويمة على شخصية الشاعر واسباب امتناعه عن الزواج، وقد دعت الحاجة الى نقل بعض ذلك الى كتاب مسعود «اعادة التوازن..» في العربية، فقد وجد مسعود ان اعتزاز حاجي قادر بنفسه جماع شخصيته ومفسر سلوكه في مافعل وترك وكانت هجرته من كويسنجق الى استنبول بسبب تحرجه من العيش ضيفا على المساجد وقاده طبعه القوي في اتباع الحق الى مقارعة بعض شيوخ الطريقة في زمانه من اولئك الذين يطلبون الدنيا من اجل الدنيا، فارتحل ليس من باب الخوف وانما ابتعاداً عن المسكنة والاسترفاد، وكان امتناعه عن الزواج راجعا الى السبب نفسه، وقال مسعود في ذلك: «فصرفه عن الزواج يقين التجهم في يومه عن انفراج محتمل في قابل الايام فأخذ نفسه بحكم اشد الاحوال قسوة».. والحق ان مسعودا كان في «حاجي قادر..» يفلسف نفسه ويزن حقائق الدنيا من منظور نفسه ايضا، وهي النظرة التي لم يدركها خصوم حاجي قادر او خصوم مسعود..

شاعرية نالي

ونالي هو صاحب المدرسة الحديثة في الشعر الرومانسي الكردي وامام الابداع سبكا ونظما وتعبيرا ووصفا في الغزل والوجدان وكل ميدان ذرعه في الشعر الكردي على رؤية مسعود محمد، وفي الدراسات الكردية يشير النقاد الى «شهرة» نالي في عموم المنطقة الكردية، ولكن بدا لمسعود ان شهرة نالي كانت افقية تفتقر الى البعد العمودي «العمق» فحاول ان يفتح كوى يسلط منها النور على داخل البنيان في شعره، واظهر مافي قول بعض «النقاد» من تهافت اذ انساقوا مع «نزوعاتهم» المادية والطبقية فوصفوا شعر نالي وغيره من الرعيل الاول بأنه تنسيق كلام لاغير، واظهر مافي ذلك الشعر كله من ارتباط حي بالواقع على صورة لم يكن غيرها متاحا في زمانه، وصحح تاريخ وفاته واراء في مسار حياته لم تكن منسجمة مع ماهو مستوحى من شعره واشارات وردت في بعض المراجع، كل ذلك كان في مسلسل مقالات متصلة في اعداد من مجلة المجمع العلمي مع مقدمة طويلة كتبها مسعود وجمعها في كتاب بعنوان «باقة ورد من رياض نالي» بحدود ٣٤٠ صفحة، وفي هذا الكتاب يحاول مسعود ان يقارن الشاعر نالي بمستوى اي شاعر اخر في الشرق الاسلامي في المقاصد التي ضمتها اشعاره، متناولا في ذلك براعته بحيث انه اذا استعار من شاعر فحل مفلق احد معانيه المشهورة كان نظمه له يمتاز بشئ ما عن نظم المستعار منه، وكمثال على ذلك،، ان ابن الفارض نظم:

فلولا زفيري اغرقتني ادمعي
ولولا دموعي احرقتني زفرتي

فجاء نالي ونظم المعنى نفسه في بيت كردي ضمن قصيدة له يقول فيه مامعناه:

لولا نار صدري غرقت
لولا ماء عيني احترقت

فقد اخر ذكر سبب الغرق في الشطر الاول فجعله في الشطر الثاني واحال القارئ على الشطر الاول للعثور على سبب الاحتراق في الشطر الثاني من باب زيادة الاثارة ومتانة السبك باختزال للكلام لايخل بالمعنى.

وصدر الكتاب من المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٦..

كتب في اللغة والفكر

وهو متضلع في اللغة الكردية، في نحوها وصرفها كما يشير الى ذلك نقاد اللغة الكردية فالف في هذه اللغة كتابا هو مجموعة مقالات في اللغة مع مقدمة، وكتابا في «بعض الخفايا»، عن هذه اللغة يشرح حالات اعرابية وصرفية، دقيقة خفية لامثيل لها في اللغات الاخرى لذلك افلتها الباحثون الاكراد لاسباب شرحها مسعود في كتابه، وله كذلك كتاب «نحو الشاعر المستقيم في الكلام الكردي، وهو رد على نقدات غير «ناضجة» لبعض ماورد في كتاباته بسبب عدم «عمق» الناقد في فهم معاني الكتاب وفي المادة الكردية التي يستعملها في النقد، وكل هذه الكتب صدرت في بحر السبعينات..

وفي سنة ١٩٧٦ وفي محاولة تحليلية، في الفكر الانساني اصدر مسعود كتاب «الانسان وماحوله» وهو جزءان يدوران في اظهار دور الانسان الحقيقي في التطور التاريخي الذي هو الكل في الكل واداة تطويره هي عقله وله جانب مضيٌ وجانب مظلم وكلاهمـا شيٌ واحد، فالجزء الاول في دور العقل الايجابي والجزء الثاني في دوره السلبي.. وينبغي ان نذكر ان مجمـوع هذه التـداعيات التي وردت في هـذا الكتاب كان اصلها جملة قالها مسعود في ثنايا مقـالة له في نهايـة الاربعينات تنتقد جوانب من التحليلات المادية الميالة الى انقاص دور العقل بزيادة التفخيم لدور المادة والمرحلة التاريخيـة وما الى ذلك، فقال في جزء مما شرح به دور العقل: «وليس قصارى العقل ان يمتنع عن تعليل الاشياء التي لايفهمها ولكنه يعللها تعليلات خاطئة» وشرح هذا في مواضع من كتاباته وعلل به نشوء الاساطير والاوهام الغيبية فكلها من بنات العقل الذي يتحرك فلا يهتدي الى الحقيقة ولايرضى بالسكوت ايضا.. !

الى امير حسن بور

واحدى الزوابع التي اثيرت حوله كانت بسبب كتابته كتابـا في الجدل الفكري هو الى امير حسن بور حيثما يكون انما هو جواب على افكار مادية طبقية وردت في احدى رسائله الى مسعود متعارضة مع تعليلات ظهرت في ثنايا اجزاء كتاب «حاجي قادر» فشرح فيه على قدر رؤيته خطأ الاتكال الى التفسير الطبقي في تعليل مصائـر الشعوب

على اليمين مع بعض رفاقه القدامى في الثلاثينات !

فهناك «كما هي رؤية المؤلف عموما». شعوب اندثرت رغم وجود الطبقات فيها ورغم نظرية المراحل التاريخية الماركسية، وهناك شعوب بلغت الذروة في التقدم وكانت، ومازالت فيها، طبقات وملكيات، فالمراحل التاريخية، بصرف النظر عما فيها من اخطاء اساسية كبيرة، لاتختلف عن نظرية دارون في تطور الاحياء من حيث ان كلتيهما، بفرض صحتهما، لاتمنعان تقدم هذا وتأخر هذا وانقراض هذا، فالتمسك بمثل هذه الافكار في مثل القضية الكردية ابتعاد هائل عن مقتضى المصلحة القومية الى شئ نظري لايقدم القضية شعرة واحدة حتى ولو كانت صادقة، وفي الكتاب كلام هو الجدل البارع الذي يتسم به مسعود حول جملة اشياء ساقها نص الرسالة او استطراد مسعود في السرد كالذي جرى في ما نقد به قول بور من ان البناء الفوقي قد يتفاوت من بلد الى بلد ولكن البناء التحتي، كالاقطاع، شئ واحد في كل البلدان، فقال مسعود من باب البديهية التي لاتحتاج الى البراهين انه اذا كان البناء التحتي لشئ من الاشياء الفوقية واحدا في بلدين وجب ان يتماثل الشيئان الفوقيان كل التماثل، اما السبب في اختلاف الابنية الفوقية من نظام وادب وفن واخلاق في بلدان اقطاعية متماثلة الاقتصاد فمرده الى اختلاف البشر في تلك البلدان فالبشر هو البناء التحتي الذي ينهض عليه البناء الفوقي وليس المقلاع والفخ وبيض اللقلق.. البشر هو كل شئ في الاجتماع وليكن مايكون حظه من القبح والجمال والذكاء والغباء، وما من شئ مطلقا يمكن ان يكون مصدر اي بناء فوقي اذا لم

يتفاعل مع البشر، فالبشر يتفاعل مع الاشياء ويستخرج منها نتائج توافق فهمه او مزاجه، او معتقده، الاشياء متاحة لكل الاحياء فما بالها لاتسخرج منها شطرا من بيت او كلمة مسبة او تقديسا لصنم او بقر ..!

وله كتاب اخر بالكردية بعنوان «حمه اغا الكبير» وهو شخصية وجيهة في كويسنجق عاشت حوالي ستين سنة من القرن الماضي ومات سنة ١٩٢٢ وهي فذة في الصفات الانسانية على مايشير قاموس الدراسات الكردية، وتناولها هذا الكتاب مع استطرادات يقتضيها السرد ويستوجبها فتح عين الناشئة الكردية على ضروب من الخير والرشاد خارج زنزانة الافكار «المنغلقة على الطبقية» التي يجادلها مسعود في كل شئ ..

كتب بالعربية

وفي العربية له اربعة كتب: اعادة التوازن الى ميزان مختل، والتفسير البشري للتاريخ ورسالة في «كيفية النهوض بمستوى المرأة في منطقة الحكم الذاتي» و .. لسان الكرد، وفي الطريق الى المطبعة يدفع كتبا اخرى لاتقل اهمية عن هذه الكتب بل لاتقل اثارة في الجدل الفكري ..

وكتاب اعادة التوازن قصد منه كشف المغالطات التي شاغبت على مسعود وعلى الاجزاء التي صدرت من كتابه «الحاج قادر..» وفضح «الزيف» في ما يراد به ابتزاز كفاح حاجي قادر من الوطنية الخالصة

الى الكفاح الطبقي، وكان مقدرا ان يكمل البحث في خمسة اجزاء.. اما كتابه «التفسير البشري للتاريخ» فهو شرح مقتضب لرأيه في ان الذي يفسر التاريخ هو البشر نفسه وليس المادة او الطبقة او الموقع الجغرافي.. فبدون البشر لايوجد تاريخ، وفي هذا الكتاب فصل رائع عن دور الفرد في التاريخ، واشياء قلما بحثها باحثون عراقيون في هذه الحقبة. واخر كتبه بالعربية سنة ١٩٨٧ هو «لسان الكرد»، محاولة لكشف البطلان في اثارة الشك حول وجود كلمات متشابهة او متقاربة في الفارسية والكردية من حيث ان ذلك يخدم الثقافة الفارسية، فاستعرض بجهد العالم اللغوي تاريخ عائلة اللغات الهندية الاوربية وتفرعها الى فرع اوربي توجه نحو الغرب وفرع شرقي انفرق فرقتين، فرقة ذهبت الى شمال الهند بلغتها السانسكريتية، وفرقة انحدرت الى مايسمى ببلاد ايران فاستقرت شعوبها في اماكن مختلفة فيها وفي خارجها الى الغرب والشمال الغربي، والكتاب رحلة في التاريخ والاجناس والمذاهب والقواميس والمدن والممالك بمنطق احسبه منطق العالم الثقة، وان اختفلت واياه في منهج هذا المنطق !

اقول، في هذه الرحلة مع مسعود محمد وانا انهي جزءاً من حوار اللغة في تاريخه وفي نبوغه الفكري وفي عالم تأملاته بأنك يامسعود خلقت لتؤدي رسالة الحياة، كما خلقت لتؤدي رسالة المبدأ، بعلو شرف، وبميزان لا اراه قد اختل في كل حقبك التاريخية، ان كنت في هذه الدنيا او غير هذه الدنيا في العالم الاخر الباقي، وكما كنت اراك في الماضي تصعد الى القلم بنفس الشهداء، اراك اليوم تصعد الى

المنبر تذيع قصة ولادتك مرتين: واحدة تبشر بالعلم واخرى تبشر بالارادة، وهما في عذوبة تنقلان لنا مفكرا اسمه مسعود محمد وجسده مسعود محمد وعقله مسعود محمد، فكن بالرضا في هذه الرحلة، واقنع بالرضا في هذه الحياة، وكن من كوكبة الخالدين..!

معنى الكتابة في معنى الكاتب !

ولما انتقلنا الى الحرية كان هذا النقاش:

س: لماذا تجعل السياسة في كل شئ من كتاباتك ؟

ج: مايسمى بالعالم التقدمي لايملك فكرا خارج مضمون السياسة فكيف افر منها..

س: هل الحرية مسالة قانونية ام حالة وجدانية في نظر المفكر ؟

ج: الحرية من مضمون انسانية الانسان فهي ضد الرق وضد الحظر ولانظافة في وجدان يضيق بالحرية..

س: هل يوجد كاتب مثالي في مجتمعنا ؟

ج: اذا كان المعيار هو المثل الاعلى فلا يوجد كاتب مثالي على وجه الارض ..

س: اذاً من هو الكاتب الخالد ؟

ج: الخالدون انماط متباينة يجمعهم ان كتابة كل واحد منهم تحمل مضمونا او شكلا غير قابل للموت..

س: ومن هو الكاتب الرائد ..؟

ج: هو صاحب شرعة غير مطروقة في المضمون او الاسلوب..

س: وهل انت من الاثنين ؟

ج: اظنني رائدا في اشياء، والخلود يسأل عنه من يأتي بعدنا.

س: هل ترشح كاتبا عراقيا لجائزة اوربية ؟

ج: احيلك على ماورد في كلام الشيخ جلال الحنفي في لقاء مماثل قبل سنة..

س: هل ترشح كاتبا عراقيا بلغ الذروة في الجمهور العراقي ؟

ج: بلا رياء وبلا تهرب اقول اني اجهل رأي الجمهور العراقي في الكتاب.

س: ايهما اكثر خلودا في التاريخ، كاتب تقدمي ام كاتب رجعي ؟

ج: في رأيي ان التقدمي عامة ذو خطورة مرحلية ومجال الخلود في الامور ذات الشاو البعيد في المستقبل..

س: لو كنت في الغرب فبأي شئ توصي القارئ العربي ؟

ج: اوصي القارئ العربي بتقليد الغربي في سلوكه الحضاري .

س: ماالفرق بين الكاتب الانتهازي والكاتب الخائف ؟

ج: قد يكون الخائف انتهازيا ولكن الانتهازي يكون في الطمع على منتهى الجرأة.

س: لماذا يتكالب بعض الكتاب على المكافآت ؟

ج: المكافاة حق بشروطها والتكالب عليها صغار مخل بالمروة اعيذ الكتاب منه.

س: لماذا يحصل الشعراء، عبر التاريخ، على مكافات اكثر من الكتاب؟

ج: الشعر بتنقله السريع وحفظه يقوم مقام جهاز الترويج والكتابة بطيئة ويبقى اثرها بعد موت المعنيين فيها.

س: اذا ترجمت كتبك في الغرب فهل تجد جمهورا ؟

ج: اظن ان جمهوري لايتعدى المعنيين بالقضايا المصيرية من القادرين على التفرغ او الاهتمام، فلا حظ لي مع الساسة والمستعجلين في امرهم ..

ظاهرة ..!

لماذا يفتر الحماس عند الاديب العراقي في مراحل الشيخوخة ..؟

اجاب مسعود محمد:

ـ ان السؤال لاينطبق على حالي فأنا لم اكن قط نشطا في كتاباتي كما انا اليوم.. ولكنه سار في احوال الشيوخ. وجوابي هو ان جل الشيوخ في العالم ينتابهم الفتور ولكن الفتور عندنا ازيد وسببه خيبة الامل من ناحيتين: ناحية الاهمال الذي يتعرض له ككائن اجتماعي ومواطن زاد في قوة مواطنته بما قدمه للناس من زاد عقلي فمن البديهي ان يفتر حماسه في شيخوخته بما لاقاه من خواء اليد عن خدماته في الماضي فيحمله ذلك على اليأس من تكريمه على حافة القبر. والناحية الثانية صعوبة ايصال صوته المشحون بثمرات حياته الى الناس فهو مقيد بعسر حاله فلا يستطيع الصرف على نشر اثاره ومقيد بقيود في فرز ماينشر عما لاينشر وتلك طامة كبرى خليقة ان تقتل الابداع، ماعسى يكون من عبقرية او نبوغ ينشغل اثناء الكتابة بما هو جائز او غير جائز للنشر ؟ اذا جابهتني حالة تعكر المزاج طارت الفكرة من رأسي والخطرة من قلبي فكيف تختمر الفكرة اصلا اذا عرفت انها تذبح بقيود.. ومنطق الادب يقول انه على السياسة ان تكيف نفسها تكييفا لايضيق بعلم العالم وفن المتفنن وأدب الاديب..

يتمنى في هذه الدنيا !

قلت: يامسعود: ماذا تتمنى من هذه الدنيا، قال:

* كنت اتمنى ان اكمل كتابي في «حاجي قادر كويي» ..
* واتمنى ان اكتب عن والدي بتفصيل ..
* واتمنى ان ازيد رايي في «وجهة نظر في التفسير البشري للتاريخ» وضوحا وسيكون عملا ضخما لايرى له انتهاء لانه يستغرق كل ماهو تاريخ وكل ماهو بشري لايذكره التاريخ وتنبعث منه استطرادات فكرية، نظرية، فلسفية في ميادين شتى فالبحث في العقل، مثلا، يفتح بابا يفضي الى الفلسفة، وماقبل الفلسفة وماوراءها، بابا لايمكن سده..
* واتمنى ان استطيع بيان رايي في الذي يجري عندنا وعند غيرنا مما يتصل بنا بصراحة كاملة..
* اتمنى ان اجد فرصة كافية لوضع النقاط على الحروف في جميع القضايا التي تشغلني ووصلت فيها الى راي نهائي..

(من رسائل مسعود محمد القديمة الى المطبعي)

في الستينات

ملاحق

تعقيب على هامش سيرة مسعود محمد

ننشر هنا نص الملاحظات التي بعثها مسعود محمد الى حميد المطبعي حول مانشر من سيرته وحياته الاجتماعية والفكرية، كان المطبعي قد نشرها في جريدة الثورة تباعاً في سلسلة (الجذور) ..

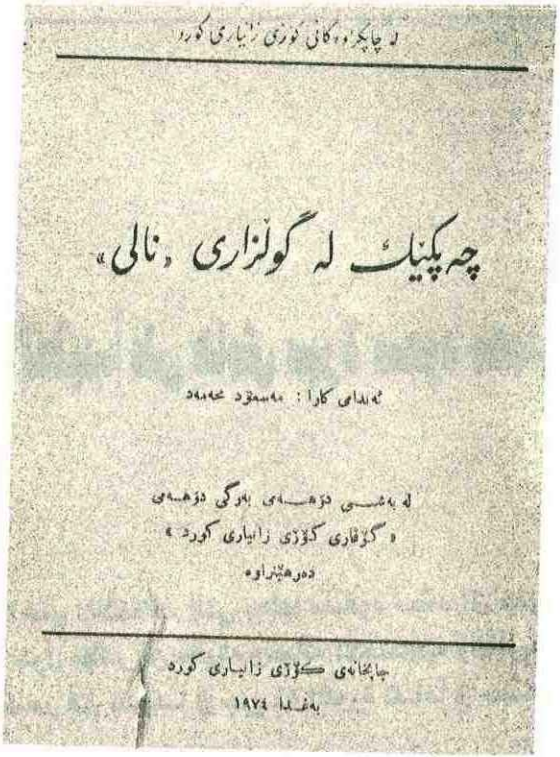

رحلة الحياة كالمعى الاعور ملتصقة بالانسان ولكنها محمولة على ظهره وفوق قمة رأسه بادية للعيان تكشف عن ماهيتها خيراً او شراً باتضاح خفايا امسها في مسار غدها على سبيل الحتم، فياحسرة من خلت موازينه من شرف الامثل الاجمل فخفت بالفراغ وياويله اذا ثقلت بالعنف والعدوان فقد كفى خسراناً وبوارا نضوب معين الاحساس بالحق والخير والجمال. فاذا كان الشرير يلتذ من مقارفة شروره فقد كان ذلك من باب التذاذ البهيمة عن طريق الغريزة العجماء مجرداً من آلاء الوعي لِكُنْهِ ماهو خليق ان يكون لذيذا في مذاق الانسان. وبالتفاتةٍ منى الى (درب التبان) الذي سلكته في ماضي عمري، اطالعه بعين من حمل نفسه مشقة الحياد في خاصة شأنه فانى أجدنى قريبا من مجمل الصورة التي رسمنى فيها قلم حميد المطبعي مشربة بشيٍ من الهندمة والهندسة تقتضيها طبيعة الكتابة الفنية، مقترنة بشيٍ من التشذيب والتهذيب يسوغهما نزوع الكاتب الى اخراج عمله بما تيسر من التحبيب الذي لايخل. وتلك سمة اهل المهارات جبلت عليها طباعهم توصلا الى اغناء الواقع بزيادة من البهاء كوفئوا عليها عبر الزمن مزيداً من التشجيع وفضل اقبال على مايبدعون.

ولكن الذي لايعلمه القراء هو ذلك الثمن المضنى المستفرغ لطاقتي وفَيْتُهُ حميداً في محاورات ساخنة جياشة يرتفع فيها الصوت فوق المألوف و تستثير الحماس حتى تنبوبنا المقاعد فننهض كديوك

المهارشة وسبابة كل منا منتصبة بالنذير فيما يشبه التحذير بوجه صاحبه ولكنه نذير التمسك بالرأي والتحذير من مغبة الاصرار على الموقف، دام ذلك شهوراً متعاقبة في عشرات الايام لساعات متوالية تتركني كالبرتقال المعصور حتى اكمل حميد مشواره معي في الجذور. ولربما كان لانتمائه الايديولوجي وخلوى من سبق الالتزام النهائي برأي معين اثره في اختلاف رأيينا على مسائل محددة قلت عددا مع الايام ولكن بقيت منها بواق ورد ذكرها عابراً في ثنايا ماكتب. والضرورة في التزامه الايديولوجي قضت بطي صفحات من حياتي بلا نشور كانت ذات خطورة ملحوظة في موازيني وبتخطي احداث واشخاص وجهات لايحتملها الظرف ولها جميعاً سطور محفورة كأخاديد المحراث عبر حقل عملي جيئة وذهابا. وكانت راحته النسبية في تجاوز هذه الحيثيات بقياسها الى مضى من طموس بعض شموعي نابعة من سببها الظاهر هو انتماؤه السياسي المحكم فهو جندي قدير في المصلحة في الاستدارة حول بعض الخنادق والقفز الى ماوراء الرواقم هنا وهناك تكملة لمخطط تكتيكي او استراتيجي هو مؤمن به ويكون رضاي بذلك اضطراراً الى تقبل الممكن الذي هو حد الحكمة القائلة ان مالايدرك كله لايترك كله اوجله.

لقد فهمني المطبعي كما تراءيت له خلال كتاباتي المنشورة وبعضها غير المنشورة ومن محاوراتي معه في العمق والمدى شهوراً متطاولة. فلما ان اطرني (بالكردية والعراقية) المتلابستين بنظره في

انتمائي الروحي والقومي دفعه حسن نيته الى مزج ذلك بخميرة من زاده السياسي في معنى (العراقية) فاحدث لعراقيتي تأصلاً يوازى عراقتي في الانتماء الى امة الكرد وهاهنا موضع يستلزم زيادة توضيح بمبعدة كلية من المشاعر الخاصة وفي موضوعية مطلقة لا تفوقها موضوعية سيولة الماء وصلابة الحديد.

ولكي اباعد بيني وبين شبهة الانفعال انقل من بدايات كتابة لي في العربية لم افرغ منها بعد، صفحتها الاولى تناسب المقام وتنهض بالمطلوب في توضيح ماروم وقد تساعد القارئ على مطالعة فكرة افلتها ذهنه: اخترت لهذه الكتابة عنوان «وفديناه بذبح عظيم» وقد اغيره عند طبعها.

«وفديناه بذبح عظيم»

«ماخلقت نفسي كرديا وماخلقت نفسك عربيا، ولكننا في حكم وجودينا ككردى وكعربي نحمل على اكتافنا وقر الانتماء القومي صعوداً الى عشرات القرون ونتكلف هم الديمومة لاعقابنا حتى ابد الابدين، فكل تقصير في الوفاء بالواجب القومي هو تفريط في قدسية امانة تشمل الوجود المحسوس والمرئي والمروى في وعيك ووعيي. فاذا انفصمت خيوط التجاذب بيني وبين ارومتي باي سبب للفصم والقصم وطفوت على سطح الوجود فقاعة ملساء تعجز عن التشبث والالتصاق فقد هزلت روابطي بالبشرية عموما وعامت من حولي

الاحاسيس على الفراغ وطرقت الالفاظ سمعي بارباع معانيها وحارت عيني في الرؤى ناصلة عاطلة فما من شيٌ يثبت مكانه حين اكون كاللقيط الذي جهل ابويه، واربما تهت عن نفسي اذا قطع الحبل السري المغذي لوجداني. ولكَ انت ان تعبر عن نفسك اذا سلخوا منك جلدا أُرومتك.

«وليس شيٌ مما ينتمي اليه البشر يرقى الى قوة الانتماء القومي فهو وحده بين الانتماآت وشيجة نسبية تنتقل الى المولود بطنا بعد بطن بلا تكلف ودون حاجة الى اصطناع الهوية بترخيص من متفضل: فالمنتمي الى دين او مذهب سياسي او مدرسة فكرية يستطيع ان ينسلخ منها بكامل انسانيته ولكن ليس يستطيع الانسلاخ من بنوته لوالديه او انكار قرباه القبلية المنطوية في الانتماء القومي فتلك سمة كانت له في الارحام التي تناوبت على تخليقه قدراً مقدوراً».

هذا الكلام المنقول آنفا يمهد السبيل الى القول بان الحلول في القومية و التلبس بها جزء مكون لشخصية الانسان مثل قابليته للنطق وانتشار الوعي في كيانه فهو اقوى قوةً وراء كل مقاس من ارتباطه بالارض على جلال قدرها وارتفاع شأنها وخطر مقاسها في القضايا القومية المصيرية. واختصر القول في ذلك الى غاية الاختصار بأن اقول ان العرب الذين عبروا البحر الى اسبانيا نقلوا معهم عروبتهم ولم ينقلوا وطنهم وبقوا مع ذلك عربا قروناً عديدة صبغوا خلالها الارض الجديدة عليهم بملامح أُرومتهم.

فكرديتي الصق بي من اسمي وهي بالبداهة ادخل في كينونتي من

اعادة التوازن الى ميزان مختل

مسعود محمد

مطبعة المجمع العلمي الكردي
بغداد - ١٩٧٧

البيت الذي اسكنه والمدينـة التي تضم بيتي والوطن الذي يشمل مدينتي وما وفدت القدسية الى البيت والمدينة والاقليم المسمى وطنا فميزتهن عن البيوت والمدن والاوطان جميعا الا من قداسة تفوقها قدرا وجذراً هي (القومية) ولولاها لكانت الاوطان امتدادات ارضية ومائية خرساء لايمتاز بعضها عن بعض بما يخلق في ساكنها فضل اعتزاز فقد تساوى في الشعور بالازدهاء ساكن الصحراء مع ساكن الضياع والرباع في وشيجة الوطنية وربما كان فخر البدوي برماله اشد وامد واحد على قدر قسوة الاحوال من حوله.

وما اراني بحاجة الى الاطالة في هذا الباب فانت عربي قبل ان تكون شيئا آخر وفلان تركي او فرنسي كشأنك وشأني فيّ ان اكون كرديا قبل كل شيٍ آخـر او هكذا ينبغي ان نكـون نزولا عـلى حكم الحقيقة والبديهة بلا بغضاء او عدوان وفي تمام الصداقة والتفاهم والامان بين الناس كافة. وكان وضوح هذه المعاني في ذهني داعيا بل مستدعيا ومبـرراً لفضل انشغـالي عبر كفـاحي الذهني واللساني والقلمي بما يمهد ليسر التعايش الاخوي وادامته بين ارومات شعب العراق وخاطبت فيه عقول قادتها وطلائعها واصحاب الشأن فيها بما امكن من التعبير والتصوير. ولو كنت اعيش في بلد آخر واقعا مماثلاً لما اعيشه في العراق بما انا مطبوع عليه و منطبع به من خلائق لكنت خليقاً ان انشر فيه نسخاً طبق الاصل للذي قرأه المطبعي من كتاباتي وغاص فيها الى جذوري، وما اظن الواقع كان يبخل هناك بمطبعي آخر يعذبني ويعتصرني ويجاملني بارق الكلام..

مسعود محمد

شذرات من اسلوبه

١ ـ تمثال الحاج قادر الكويي

■ ولقد ندر في التاريخ كله مثال كحاجي نـظر المستقبل واستشف المنتظر واستكنه المصير حتى كأنه ينطق بلسان القدر ويرسم من لوح محفوظ ما يخط قلم القضاء في مآل شعبه. وانها لاعجوبة الاعاجيب ان يصدر منه القول في المال والمصير على صورة من الصراحة تكاد تبلغ حد الجهر بتحدي الاحتمالات ان تجري على غير ما قدره لها فتجري على ماقدر وتنمو على نحو ماصور، فكأنـه من وراء حجارة اللحد في ارض الغربة تمسك روحه ازمة تاريخنا بيد من العبقرية قادرة على ضبط شكائم الاحداث».

وبعد بضعة اسطر اقول:

«لقد قال غير حاجي كلاما في المستقبل والمآل فمنهم من قـارب ببصره واقع المسار ومنهم من ابتعد عنه فطفق مشايعوه يتأولون له ويتمحلون. ومن بين من اصاب سهمه او طاش اخال (حاجي) قد تفرد في استنباع بصره بالغيب من روحه وذهنه، من دمه وعصبه، من وجدانه كله العاطف والواعي فأمكنه ان يتناغم مـع لحن التاريـخ ويتمثل غد شعبه وكأنه يوم حاضر بل يوم غابر مفروغ من فهمـه، مفترض ادراكه فاحتضنه و اطبق عليه وترجم عنه بيانا يعكس خبرة المعايشة ويشع بدفء الملابسة حتى ان القارئ له بعد ست وسبعين سنة من مماته يكاد يقي وجهه لفح كلماته ويداره من لسع وخزاته. لقد فنيت ذاته في شعبه واندمج به كيانه بأوثق مما تتشابك اللحمة والسدا حتى ليصدق القول انه بلغ في ذلك انتشار القطرة في اللجة وشيوع اللون في الصورة، فـلا عجب بعد هـذا ان يصيب قوله في

مصائر الكرد مثل اصابته في اطوار عمره صبي وشباباً واكتهالاً. وانه اذا استمر نبضه في عروق الكرد ادهارا بعد سكون قلبه فقد سبق له ان اكتسب حق مشاركة كل كردي بعضا من حياتهم ووجدانهم بما اسلف من هبتهم كل حياته ووجدانه، وهو اذا عاش يومنا واستغرق غدنا فانما يمارس بذلك خلوده ويعاود عمرا انسانا من قبل اريجه وعنفوانه».

واقول في ختامها:

«لقد ذهب في مجال التفوق على علائق المادة مدى اوفى به على الغاية وجاوز النهاية لاي تجرد بلغه رجل في السياسة قبله، فهو فيما تصدى له برسالته القومية من مجابهة التاريخ والنزول على مقتضاها من نكران الذات قد استصغر معتاد العناء واستيسر مفارقة الجاه وتخطى اساغة الغربة فركب المركب الاوعر ظهراً وارتشف الكأس الامر مشربا اذ انسل من احب مايعقد اواصر الانسان بالوجود ويغريه بالحياة من زواج وانجاب واولاد واحفاد فاستصفته الوطنية لذاتها و استخلصته كردستان لرسالتها واستعاض هو عن حب السكن والولد عشقاً للوطن وغراما بالقوم في سعة الازل والابد فيالها تجارة صغرت في حسبانها المغانم وكبرت اقدارها على الموازين.

ايها الملك الكريم:

سلام عليك جسما في المنتأى ورسماً في الملتقى، وحبا في ضمائرنا وفخرا في مشاعرنا ورمزاً للشرف والمجد والفداء الى ابد الابدين ودهر الداهرين.

مسعود محمد ١٩٧٣

حزن فقي ..!

بعض صفحات كتاب
«اعادة التوازن الى ميزان مختل»

فيما يصف بعض شؤون حاجي قادر:

● هذه العزة في نفسه مفتاح شخصيته وكاشف سلوكه في مجمل عمره وهي تفسر من امره مالايستقيم في اي مقياس آخر، فقد صدق نظري فيه حين قلت ان حاجي قادر بقي امتدادا لذاته منذ طفولته حتى مماته، فانه لم ينتكص قط عن امسه ولم يندم على صلة اقامها مع الناس ولم يتنكر لفضل ولم يرتد عن رأي او موقف انشأه ولم يتهيب احدا فيما رآه حقا وهو بالبداهة لم يسترزق ولم يطلب. لقد قلت ان حاجي ظل مدى الايام يتأكد كونه (حاجياً) شأنه في ذلك شأن الطفل الذكر في ظهور علائم الذكورة عليه طوراً بعد طور من غلظة في الصوت وشعر في الوجه وفحولة في النضج.. ان شعوره العارم بالعزة منذ تفتق شعوره، سارع به الى الاستقامة على الجادة واثبته على نمط واحد في السلوك وانطقه منطق المتوثق وامده بالقدرة على طلب المتعذر ومجابهة المتعسر وادام املاقه وعصمه من الاستعطاف، وهو الشعور نفسه الذي افاض به في المعاني القومية اول ماتبلج صبحها في خلده وكان قبل ذلك دفعه في مناهضة الشعوذة على نحو لم تشهده كردستان قط. ومن هذه الكوة نفسها نفهم امتناع حاجي من الزواج ومن اقامة بيت، فقد خلت يده من المال المطلوب في الصرف على الزواج وعلى الاسرة والاولاد ومنعته عزته من الاتكال على غيره في ذلك، وصرفه يقين التجهم في يومه عن انفراج محتمل في غده فاخذ

نفسه بحكم اشد الاحوال قسوة».

■ وجاء مايلي بكتاب «اعادة التوازن..» المذكور في مجال المقارنة بين مدائح المتنبي المطولة واقتصار الحاج قادر على مديح واحد في خمسة ابيات فقط:

ويلاحظ في مطولة المتنبي نزوع صاحبها الى استحلال التمتع بنعم اجتمعت عند غيره فقد خالط قوة عارضة المتنبي وايمانه بمزاياه نوع من لوم الاقدار على توزيع الحظوظ استغله في طلب نصيبه منها فالاطالة في المديح قد تكون مظهرا للتعلل الداخلي بالاجر على المشقة، ويكون قصر قصيدة حاجي دليلا على زهد صاحبها في المكافأة و ضيقه بالمديح فقد وقف فيه عند اقرب حد ينهض بالمطلوب ونحن نعرف في حاجي قادر شاعرا طويل النفس واسع المضطرب له مطولات عديدة في اغراض مختلفة، فلقد جاء قصر القصيدة في حد ذاته حصيلة شعور بالاباء يصارع العسر في مغالبة المسكنة».

■ وفي صدد «الامثال» جاء مايلي حاشية في بعض صفحات «اعادة التوازن..».

«وفي رأيي ان الفارق بين الامثال وبين غيرها من المأثورات الشعبية هو عنصر الجد المتوفر في الامثال وفي الحكم بصورة عامة فالمثل يركز حكمة من الحكم في كلمات قليلة معبرة فهو وعاء لمحصل التجارب او لصدق النظر في الامور لذلك كان خليقا ان يأتي بالموعظة على حسب القناعة العامة في الحسن والقبح والصلاح والفساد. ولما كان المثل اشتات التجربة والقناعة على مدى مئات السنين جاز ان

تتباعد احاده في المعنى، وفي المبنى ايضا، والمجتمع نفسه ضـارب بسهم في كل شيٌ فليس من الغريب ان يملأ الامثال الساحة مابين (من يأخذ امه فهو ابوه) وبين (بيت الظالم خراب ولو بعد حـين). وانه لواضح ان مجموع الناس في مجموع الأزمان هم اصحاب مجموع الامثال في لغة من اللغات ولاينفى هذه النسبة العامة بين الناس وبين الامثال ماتستلزمه البديهة من ان يكون قائل المثل الواحد فردا ذكيا لا ان يكون المثل صيغة مصنوعة في اجتماع جماهيري فانه يكفي في النسبة ان يكون المثل مقبولا في الفهم العـام سارياً فيه مسـرى السليقة، وهذا سر شيوعه.

مسعود محمد

يجلس بين الربابنه يستمع الى نشرة اخبار في الستينات

من كتابة بعنوان من هموم الحياة

■ ان الدنيا حولنا تحوي امثلة كثيرة لبلدان في قمة الحضارة كان اقوى وسائلها الى النهوض والكفاية والامان هو خلاصها من استعباد النظريات المقدسة لها ونبذ صيحات التهديم والتصفية والتحريق فاتبعت سبلا للتصرف هي ماتحكم به الفطرة السليمة والنية الخيرة الناجية من اسر الغريزة العمياء. ومن عجائب مايجابهني جل المثقفين المنساقين مع منطق التنافس العنيف والاحتكام الى قوة العضل قولهم ان البلدان المتحضرة قد مرت مثل غيرها بادوار العنف والتقتيل فهي مادخلت جنة الامان بقفزة واحدة بريئة من حمرة الدم وغبرة الصراع وبهذا تكون صراعات عالمنا العاشر مفسرة ومبررة في نظر اولئك المثقفين ونازلة منازل البداهة الغنية عن المناقشة:

«لاابالغ اذا قلت اني اجد في مثل هذا التبرير لدوام عالمنا على التذابح والتناطح عياراً انموذجيا في الغباء والافن وتبلد الوعي فانه مما يرفضه حتى منطق المخابيل ان نستعيض عن دوابنا بالسيارة والطيارة وان نبدل قناديل نفطنا بالكهرباء وان نترك العلاج بالاعشاب الى الاستعانة بالأدوية والاجهزة السحرية وكلها مبتكرات المتحضرين ثم نصر على المراوحة دهورا في نزاعات القرون الوسطى للتدليل على ان التطور لا يكون بالطفرة. اننا نقفو اثرهم في استعمال مصنوعاتهم الباهرة في شهر او اقل فكيف نستطيع ان نتبالد حتى ندب كالنمل في طلب سلوكهم الحضاري ؟ الا ان النكبة في مضغ مثل

هذا الخبال الاجوف افدح من ان ازيحها عن صدري بمغالطة النفس على انها حكم الضرورة فكيف اقتنع بان الضرورة تدفعنا الى قبول الراديو ورفض الرحمة والعدالة و الامان في تجربة تلك الامم المتحضرة. ان الضرورة لم تنبع من سهولة الراديو وصعوبة الامان ولكنها ضراوة الذئب الكامن في اعماقنا شحذها الفلسفات الرافضة للين والرحمة. والذي يضاعف همي في هذه البلوى الكارثة هو ان طلائع المثقفين والمناضلين وليس حشود الجهلة يرددون خبالات الاعذار المجوفة فالجماهير لاتعلم اصلا كيف ومتى نهض الناهضون وقعد القاعدون ليتعللوا ويتمحلوا الاعذار، ثم ان الهم يتضاعف مرات..

مسعود محمد

مقتبس من نهايات «من هموم الحياة»

■ لقد سمعنا العجب العجاب من الطريقة الجهنمية التي توزع او تنهب بها المساعدات العينية المتبرع بها من الدول الغنية الى المناطق المصابة بالقحط وكيف انه في اكثر الاحوال التي تعتبر مواتية لاتعطى اللقمة للجوعان الا بثمن من رأيه وعقيدته وبقية باقية من انسانيته. ان انسان العالم الثالث خارج دائرة الحكم لم يزل منذ خمسة الاف سنة يرتجف خوفا من الشرطي ومن كل انسان يلمع فوق صدره وكتفيه النجوم والشارات فهو يولد ويعيش وعليه وسم بالادانة المسبقة تجاه السلطة حتى يواريه الثري في بطن وطنه. لقد كان من تجربتي الواعية خلال عمري ان اتحاشى دائرة حكومية لااجد فيها صديقا لي يحميني من امور محتملة غير مريحة تحدث لعامة المراجعين يضيع فيها الحق والجهد و الاعتبار، فانا ادرك مدى افتقادي من موقع مواطنتي لاي سلطان قانوني يمنحني ما اواجه به اي موظف صغير او شرطي في اسفل سلم الدرجات يعجبه ان يتعابث او يتجاهل او يتعاظم. ومن باب نافلة القول ان اصطداما قد يقع بين المراجع وبين الموظف يحتمل معنى الاعتداء على الموظف وقت ادائه واجبه الرسمي مئة مرة قبل ان يحتمل تجاوز الموظف لصلاحياته مرة واحدة. والكلام في هذا الاتجاه في نطاق العالم الثالث يطول ويطول الى غير نهاية ولن يكون سهلا على الكاتب مهما اوتي قوة البيان وبراعة الاسلوب ان يسمح لقلمه بالخوض في اقابح صور الغطرسة من جهة والاستكانة من جهة في هذا العالم العريض المريض واللبيب تكفيه الاشارة.

ان افانين السخف والترهة والتجبر الاحمق المأفون التي تحدث في كل اصعدة عالمنا الثالث هي من النوع المبتذل الذي لاينز الا من طبائع ناس الفوه واستأنسوا به وليس ممكنا ان يشد المستعمر رحاله من اقاصي الدنيا كي يفكر في ابتداع هذه الحقارات لانها من البؤس والفظاظة بحيث انها تفسد خطط اناس يستعملون اجهزة العلم الحديث في الاستكناه والتوجيه والتنظيم فلايمكن ان تكون لهذه الاجهزة لغة مشتركة مع عيدي امين. فنحن نجامل انفسنا حين نعزو فساد العلاقة بين حزبين او جهتين او دولتين على احقر الشؤون. نعزوه الى كيد المستعمر ودسيسة الاجنبي فكاننا كنا محتاجين الى من يوسوس في صدورنا ويضلل فطرتنا لارتكاب اخس الامور واشدها منافاة لمعنى الانسانية واخلاها من كل مايسمى مصلحة او منفعة .

مسعود محمد

سنة ١٩٥٣ .. بمناسبة احتفالات تتويج الملك في وليمه عشاء بعصر الرحاب وفي الوسط بالزي الكردي مسعود محمد

من رثاء في وفاة الشيخ علاء الدين السجادي

«وليس بالناس صبر يسيغ في مذاقهم تحكم المتعلم وتعنت المتفلسف وتدلل المتثور صباح مساء على ناصية الشارع وفي جنبات الابهاء والقاعات وعند نضح العرق في المصنع والمحلب والمزرعة بانتظار ان تترعرع فسيلة الوعود نخلة تساقط عليهم رطباً جنياً بعد ان تستحيل العظام رميماً في القبور. فالناس اكثر ترحيبا بارتفاع الثقل عن كاهلهم في نهارهم الطالع وترك المستقبل لاوانه. وهم اقل احتمالا لضيق يرتاح به متسلط يبذل الوعود المفلسفة من لسان سوطه.. وكان السجادي تلميذاً في مدرسة التمسك بالانسانية على علات الاحوال وسلك فيها سلوكاً خليقاً بالكرماء بغير ضجيج احدثه او اقتحام تجشمه او تباطل تكلفه. وضرب في منهجه مثالا للسالك اذا اقتداه فاز بالنظافة واغدق بالحسنى وأثمر في الكرامة وشرع الى الامان بل ضيق الميدان بوجه الغالبين على الارادات والقابضين على المصائر، فان الجيوش المجيشة للقهر تقل زادا وعتادا بزيادة الارادات القادرة على الانكار والاستجابة والفارقة بين الفضيلة والرذيلة والمختارة في القبح والوضاءة. لقد كان امتدادا مع الممتدين في مناهج الخير قبل الاف السنين، والتقط خيطه الدليل الى الصواب من خيوط منائر الاسلام الجهابذة فاجتمعت فيه اشعاعات من اعلام الظاهر ولمحات من فيوض الباطن وتضافر على ارادته عمر وعلي واشتجر على يقينه الشافعي والحلاج واشتبك في نسيجه الحنفية والنقشية ونطق في واعيته الشهر زوري (مولانا ضياء الدين خالد

الشهرزورى) وكاك احمد وتناغمت دفوفه على ترتيل الحق من اولئك فحبا في محاريبهم طفلا ونما في رياضهم فتى وسعى في ميادينهم كهلا، بيده قلم استعاضه عن المنفجر والقاطع فسدد الى المقصود نفاثات من الكلام المصفى والبيان المجلى والبلاغ الفصيح: لمسه اشفى وهمسه احلى وقبسه اهدى. واختلطت بسريرته سرائر اولئك. وسرت في عروقه حرارة ايمانهم فنشط على حماسهم في مجاهدة النفس بصرفها عن المشتهى الوبيل والمرتقى الذليل وبدفعها في الاستقامة على السكة المرضية حيث افتراش الثرى والنوم على الطوى ثمن ميسور في ارتقاء درجات السلوك واعتلاء مقام الشهود الى مذبح تسلخ فيه النفس عن جلد الطمع فتقمع في شرنقة القناعة وتقمط في اغطية السكينة والرضا بالمقدور. وتعاورته الايام فتقاذفته الاحوال في باكورة جهاده بين السهل والجبل طي الوبر والمدر في البدو والحضر من فجاج كردستان وشعابها وهضابها ثم انسابت به الاقدار من النجود الى البطاح فحل في بغداد..»

ويقول في اواسطه:

«... فقد حمل نفسه على تحاشى الالتواء الناجم من تحكم العوز واستشراء الظلم بذخر معنوي في دخيلته جمعه عبر العمر من سنابل الحكمة في بيدر التراث واضاف اليه حبات اللؤلؤ المنتثر من سمط الجلوة في الامثال فما تمحل في ذلك ذريعة او تأول عليه شريعة. وصحت نيته في الحق المنزه عن الذرائع والاسباب فاتبعه باصرار انسان يشطب من مواقيته يوم الامان والضمان والطعام ويشترط على

من كتبه التي نالت شهرة واسعة !

نفسه زيادة التمسك بالمنهج على قدر الصعوبة في الامتحان اذ تفتر الهمة في مقارعة الطمع بالفقر ومغالبة القهر بالضعف ومتابعة النقاء في المباءة. وياهول مايوشك ان ينفثه قلمي في تصوير بلواه حين اذكر كيف كان يأوى بدينه وايمانه وعرفانه الى مسجد فيما يلي الحيدر خانة باتجاه ميدانه، فاذا استدار في العطفة نحو محراب امانهِ كانت خطاه العشرون الاخيرة الى باب المسجد هرولة المستعيذ برب الفلق من شر ماخلق وليلاذ المعتصم من الفتنة بالخرس والعمى والصمم وطرد السبيل الى السلسبيل في اودية من نار فقد قضى الاربعينات والخمسينات في برزخ على مشارف الغواية المشرعة الابواب للفجور فكان في مقام فلق الصبح الفارق بين الضدين.

«اف لها من حياة تبلو الصابرين باشق المكاره على احتمالهم فكان ماكان من اتساع احتمال السجادي للبلاء كسعة صبر الشهداء وثابر على جمع الرحيق المكتنف بالشوك غذاء لروحه ونماء للناظرين الى دأبه في العطاء واستقامته على سواء السبيل...».

مسعود محمد

المحتويات

الفصل الاول
بدايات مستقبلية تنمو بلا التواء ١١
الفصل الثاني
امتداد الخلق في مراحل التخلق ٣٥
الفصل الثالث
استقامة الخطىٰ في مختلف الدروب ٥٧
الفصل الرابع
موالاة الرحلة الى الاكتهال الناضج ٨٣
الفصل الخامس
تناغم خيوط الاتصال بالوجود في انتاج عقلي ١٠٧
الفصل السادس
بيادر في اعقاب موسم الحصاد ١٣٥
ملاحق ١٦٣

رقم الايداع ٣٦٧ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة